زادُ الصَّالِحِين
فِي زِيارَةِ السَّابِقِين

المُسَمَّى

البِشاراتُ الزَّاخِرَة
فِي زِيارَةِ
أَوَّلِ مَنازِلِ الآخِرَة

د. سَعِيد أبُو الأَسْعَاد

زادُ الصَّالِحين
فِي زِيارَةِ السَّابِقِين
المُسمَّى
البِشاراتُ الزَّاخِرَة
فِي زِيارَةِ
أَوَّلِ مَنازِلِ الآخِرَة

د. سَعِيدُ أَبُو الأَسْعَادِ

يا زائِرِينَ السَّابِقِينَ إِلَى الْهُدَىٰ

بُشْرَىٰ أَصَبْتُمْ سُنَّةَ الْمُخْتَارِ

فَبِوُدِّهِمْ وَمِنَ السَّلامِ عَلَيْهِمُ

نَرْجُو مَثُوبَةَ رَبِّنا الْغَفَّارِ

بطاقة فهرسة أثناء النشر
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

أبو الأسعاد / سعيد
زاد الصالحين في زيارة السابقين ، المسمى ، البشارات الزاخرة في زيارة أول منازل الآخرة
سعيد أبو الأسعاد . ـ ط ١ .
الجيزة : شركة الفتح للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠١٣ .
١٣٠ ص ، ١٧ سم
١- المقابر ـ زيارة
أ- العنوان ٢١٥

حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملاً أو أي قسم من أقسامه بأي شكل من أشكال النشر إلا بإذن كتابي من الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُفْتَتَحٌ

الحَمْدُ لِلّهِ الأَوَّلِ الأَزَلِيِّ قَبْلَ الكَوْنِ والمَكانِ مِنْ غَيْرِ أَوَّلِيَّةٍ ولا بدايات ، الآخِرِ الأَبَدِيِّ بَعْدَ فَناءِ المَكْنُوناتِ بِغَيْرِ آخِرِيَّةٍ ولا غايات .

الحَمْدُ لِلّهِ الَّذي كَرَّمَ الإِنْسانَ فِي الحياةِ وبَعْدَ المَماتِ ، ونَفَى الإيمانَ وصَبَّ جامَ غَضَبِهِ عَلَى أَهْلِ النُّكْران ، الَّذِينَ لا يَعْبَؤُونَ بِأَهْلِ القُبُورِ ويَنْظُرونَ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ النُّقْصان ، فقالَ عَزَّتْ قُدْرَتُهُ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ (١) ، كما

(١) سُورَةُ المُمْتَحَنَة : الآيَة ١٣ .

وَصَفَ أَهْلَ الإيمانِ الَّذِينَ يَصِلُونَ السَّابِقينَ إِلَى الحَياةِ الآخِرَةِ بالغِبْطَةِ والافْتِخار ؛ فَقالَ جَلَّتْ حِكْمَتُهُ فِي قُرآنٍ يُتَعَبَّدُ بِتِلاوَتِهِ آناءَ اللَّيْلِ ، وأَطْرافَ النَّهار : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) ، ووَصَفَ أَهْلَ القُبُورِ بالدِّرايَةِ والاسْتِبْشار ، فَقالَ تَعالَى : ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ (٢) .

والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ

(١) سُورَةُ الحَشْر : الآيَة ١٠ .

(٢) سُورَةُ آل عِمْران : مِنَ الآيَة ١٧٠ .

المَأْمُورِ الآمِر ، الَّذِي جَعَلَهُ مَوْلاهُ الأُسْوَةَ الحَسَنَةَ لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللّهَ واليَوْمَ الآخِر ، والَّذِي أَمَرَنا ﷺ أَنْ نُخاطِبَ مَنْ سَبَقَنا مِنْ أَهْلِ القُبُورِ خِطابَ الأَحْياءِ الحاضِرِينَ إِذا نَحْنُ زُرْناهُم ، فَنُلْقِي عَلَيْهِمُ السَّلامَ ونَدْعُو لَهُمْ ، ونُبَلِّغُهُمْ أَنَّنا سَنَلْحَقُ بِهِمْ ، تَذْكِيراً لَنا وإِيناساً لَهُمْ ؛ أَي أَنَّنا نُحَدِّثُهُمْ فِي قُبُورِهِمْ حَدِيثَ مَنْ يَزُورُ بُيُوتَ الأَحْياءِ مِنْ إِخْوانِهِ ، وكُلُّ ذَلِكَ ثابِتٌ فِي الأَحادِيثِ الصَّحِيحَةِ عَنْ سَيِّدِنا رَسُولِ اللّهِ ﷺ .

كَما شُرِعَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَخَصِّ صِلَةٍ لَهُمْ بِاللّهِ رَبِّ العالَمِين ؛ وذَلِكَ فِي صَلاتِهِم المُتَكَرِّرَةِ

فِي كُلِّ وَقْتٍ وحِين ، أَنْ يُنادُوا سَيِّدَنا مُحَمَّداً ﷺ أَثْناءَ السَّلامِ عَلَيْهِ فِي التَّشَهُّدِ نِداءَ الأَحْياءِ الحاضِرين ، فَيَقُولُونَ : السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها النَّبِيُّ ورَحْمَةُ اللّهِ وبَرَكاتُه ، ثُمَّ يُلْقُونَ السَّلامَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وعَلَى عِبادِ اللّهِ الصَّالِحِينَ أَحْياءً ومُنْتَقِلين .

وفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قالَ : (حَياةُ مُوسَى فِي قَبْرِهِ قائِماً يُصَلِّي) [١] .

وصَحَّ قَوْلُهُ ﷺ : (الأَنْبِياءُ أَحْياءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّون) [٢] .

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، والنَّسائِي ، وأَحْمَدُ ، والبَيْهَقِي ، وأَبو يَعْلَى ، وابنُ حِبَّان .

(٢) أَخْرَجَهُ البَيْهَقِي ، والبَزَّار .

ولَيْسَ هَذا خُصُوصِيَّةً للأَنْبياءِ والمُرْسَلِين ، بَلْ هُوَ صِفَةٌ لِكَثِيرٍ مِنَ المُؤْمِنين ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ البُخاري : أَنَّ بَعْضَ الصَّحابَةِ ضَرَبَ خِباءَهُ عَلَى قَبْرٍ ، ولَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ قَبْرٌ ، فَسَمِعَ مِنْ داخِلِ القَبْرِ رَجُلاً يَقْرَأُ سُورَةَ تَبارَك ﴿ٱلْمُلْكُ﴾ ، فَجاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، فَقالَ ﷺ : (هِيَ المانِعَةُ ، هِيَ المُنَجِّيَةُ ؛ تُنَجِّي مِنْ عَذابِ القَبْرِ) [1] .

رَوَى أَنَسُ بنُ مالِك رضي الله عنه قالَ : قالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : (إِنَّ العَبْدَ إِذا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحابُهُ وإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعالِهِمْ ، قالَ :

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ فِي صَحِيحِهِ .

فيَأْتِيهِ مَلَكانِ فَيُقْعِدانِهِ ، فَيَقُولانِ لَهُ : ما كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذا الرَّجُلِ ؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللّهِ ورَسُولُهُ ، فَيُقالُ لَهُ : انْظُرْ مَقْعَدَكَ مِنَ النَّارِ ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللّهُ بِهِ مَقْعَداً مِنَ الجَنَّةِ ، قالَ النَّبِيُّ ﷺ : فَيَراهُما جَمِيعاً)[1].

أَمَّا بَعْدُ

فاعْلَمْ نَوَّرَ اللّهُ قَلْبِي وقَلْبَكَ ، ورَفَعَ بِمَعِيَّةِ الصَّالِحِينَ قَدْرِي وقَدْرَكَ ، أَنَّ الحَياةَ البَرْزَخِيَّةَ والَّتي يَحْياها الإِنْسانُ إِذا ماتَ عَنِ الحَياةِ الدُّنْيا وانْتَقَلَ إِلَى الحَياةِ الأُخْرَوِيَّةِ ، تَتَأَثَّرُ وتُؤَثِّرُ فِيمَنِ اتَّصَلَ بِها مِنْ أَحْياءِ الدُّنْيا أَوْ

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ ، ومُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِما .

جاوَرَها فِي الحَياةِ البَرْزَخِيَّةِ ؛ فَهَذا الصَّحابِيُّ الجَلِيلُ عَبْدُ اللهِ بنُ عَمْرِو بنِ حَرام (والِدُ الصَّحابِيِّ جابِر الأَنْصارِي) عِنْدَما اسْتُشْهِدَ فِي يَوْم أُحُد سَنَةَ ٣ هـ ، وكانَ مِمَّنِ اسْتُشْهِدَ مَعَهُ سَيِّدُنا عَمْرُو بنُ الجَمُوح رضي الله عنه ، قالَ النَّبِيُّ ﷺ : (ادْفِنُوهُما فِي قَبْرٍ واحِدٍ ، فَإِنَّهُما كانا مُتَصافِيَيْنِ مُتَصادِقَيْنِ فِي الدُّنْيا)[1].

بَلْ يَتَعَدَّى هَذا التَّأَثُّرُ مِنَ المَكِينِ إِلَى المَكان ، وقَدْ أَظْهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَلِكَ بِأَوْضَحِ بَيان ؛ حَيْثُ أَخَذَ كِسْرَتَيْنِ مِنْ جَرِيدَةٍ خَضْراء ، ووَضَعَهُما عَلَى قَبْرَيْنِ ، وحِينَ سُئِلَ ﷺ عَنِ

---

(١) مُصَنَّفُ ابنِ أَبِي شَيْبَة .

السِّرِّ فِي ذَلِكَ ، قالَ : (لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُما ما لَمْ يَيْبَسا)[1] .

وعَلَّلَ شُرَّاحُ الحَدِيثِ مِنْ سادَتِنا العُلَماءِ ذَلِكَ بِأَنَّ الحِكْمَةَ فِي التَّخْفِيف : تَسْبِيحُهُما ما داما رَطْبَيْنِ .

وكَما هُوَ مَعْلُومٌ فَإِنَّ لِبَعْضِ المَقابِرِ خُصُوصِيَّةً وأَفْضَلِيَّةً عَلَى غَيْرِها ، كالبَقِيعِ والمُعَلَّاةِ وسَفْحِ المُقَطَّم لِكَثْرَةِ سُكَّانِها الصَّالِحين .

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2] .

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ ، ومُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِما عَنِ ابنِ عَبَّاس رضي الله عنهما .

(٢) سُورَةُ الحَدِيد : مِنَ الآيَة ٢١ .

إنَّ حَياةَ المَوْتَى عِنْدَ اللّهِ أَتَمُّ وأَكْمَلُ مِنْ حَياةِ الأَحْياءِ عَلَى الأَرْضِ ، ودَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (١) ، ثُمَّ دَلِيلُهُ ما وَرَدَ فِي الصِّحاحِ مِنَ اجْتِماعِ أَرْواحِ الأَنْبِياءِ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي لَيْلَةِ الإِسْراء ، واحْتِفالِهِم المُقَدَّسِ بِهِ ، وما تَبادَلُوهُ مِنْ خُطَبٍ ، وما حَدَثَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ مِنْ أَخْذٍ ورَدٍّ فِي المِعْراجِ مِنْ سَماءٍ إِلَى سَماءٍ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حَياةَ الأَرْواحِ مَوْصُولَةٌ بِأَهْلِ الأَرْض . ثُمَّ دَلِيلٌ آخَرُ حاسِمٌ فِي مَوْقِفِهِ ﷺ مِنَ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ ، وسُحِبُوا إِلَى

---

(١) سُورَةُ المُؤْمِنُون : مِنَ الآيَة ١٠٠ .

القَلِيبِ ، وقَدْ جَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ ﷺ ، فَلَمَّا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ، قالَ : (والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ما أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِما أَقُولُ مِنْهُمْ)[1].

فَإِذا كانَ المُشْرِكُونَ بَعْدَ المَوْتِ أَشَدَّ سَماعاً مِنَ المُسْلِمينَ فِي الحَياةِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ شَأْنُ مَوْتَى المُسْلِمين ؟!

ويُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] ، فَفِيها دَلِيلٌ عَلَى اتِّصالِ الحَيِّ بِالمَيِّتِ واهْتِمامِهِ بِشَأْنِهِ بِالقَدْرِ الَّذِي

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ ، ومُسْلِم .

(٢) سُورَةُ آل عِمْران : الآيَة ١٧٠ .

يُرِيدُهُ اللّٰهُ لَهُ .

كَما شُرِعَ لَنا خِطابُ المَوْتَى عِنْدَ الزِّيارَةِ وإِلْقاءُ السَّلام عَلَيْهِمْ : شَأْنُ الأَحْياءِ الحاضِرِينَ بِالفِعْلِ ، كَما صَحَّتْ أَحادِيثُ كَثِيرَةٌ أَنَّ المَوْتَى يَرُدُّونَ السَّلامَ عَلَى مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ ، وأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهُ ، وأَنَّ المَيِّتَ يَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ الحَيُّ ، وأَنَّهُ يَنْتَفِعُ بِصَلاةِ الجِنازَةِ ، والزِّيارَةِ ، والصَّدَقَةِ ، والدُّعاءِ ، والقُرْآنِ ، وشَأْنُ الحَجِّ عَنْهُ أَكْبَرُ دَلِيلٍ قاطِعٍ عَلَى عَلاقَةِ الأَحْياءِ بِالمَوْتَى ، وعَدَمِ انْقِطاعِ الصِّلَةِ بَيْنَهُمْ .

ودَلِيلٌ آخَرُ فِي إِخْبارِ القُرْآنِ عَنْ عَذابِ آلِ فِرْعَوْنَ بِالقُبُورِ ، أَوِ البَرْزَخِ : ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ

عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [1] ، ومُقْتَضاهُ أَنْ يَكُونَ هُناكَ نَعِيمٌ قَطْعِيٌّ يُعْرَضُ الصَّالِحُونَ عَلَيْهِ غُدُوًّا وعَشِيًّا ، عَدْلاً مِنَ اللّٰهِ وفَضْلاً .

ولا يَكُونُ العَذابُ ولا النَّعِيمُ إلَّا لِلمُدْرِكِ الحَيِّ ؛ فالإنْسانُ مَوْجُودٌ فِي الدُّنْيا بِصُورَةٍ خاصَّةٍ ، وهُوَ مَوْجُودٌ كَذَلِكَ بَعْدَ المَماتِ ، ولَكِنْ بِصُورَةٍ خاصَّةٍ أَيْضاً ، ووُجُودُهُ بَعْدَ المَوْتِ أَكْمَلُ مِنْ وُجُودِهِ الدُّنْيَوِيِّ ، لِتَخَلُّصِهِ مِنْ قُيُودِ البَشَرِيَّةِ ، وأَغْلالِ الْحَدِّ والزَّمَنِ ، وتَمَتُّعِهِ بِتَمامِ الانْطِلاقِ

بِقَدْرِ سَوابِقِ عَمَلِهِ الصَّالِحِ .

أَخْرَجَ البَزَّارُ فِي مُسْنَدِهِ ، عَنْ عَبْدِ اللّٰهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، قالَ : قالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : (حَياتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحْدِثُونَ ويُحْدَثُ لَكُمْ ، ووَفاتِي خَيْرٌ لَكُمْ ، تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمالُكُمْ ، فَما رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللّٰهَ عَلَيْهِ ، وما رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللّٰهَ لَكُمْ) .

وهَذا هُوَ الصَّاحِبُ الرَّفِيقُ والصَّادِقُ الصِّدِّيقُ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللّٰه ﷺ سَيِّدُنا أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه ، يُجِيزُ وَصِيَّةَ رَجُلٍ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وهَذِهِ قِصَّتُهُ :

أَنَّهُ لَمَّا كانَ يَوْمُ اليَمامَةِ ، خَرَجَ ثابِتُ بنُ

قَيْس[1] مَعَ خالِدِ بنِ الوَلِيد ﷺ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الكَذَّاب ، فَلَمَّا لَقُوا العَدُوَّ وانْكَشَفُوا ، قالَ ثابتٌ وسالِمٌ مَوْلَى أَبي حُذَيْفَةَ : ما هَكَذا كُنَّا نُقاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللّه ﷺ ، فَحَفَرَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما حُفْرَةً وثَبَتا فِيهِما ، وقاتَلا حَتَّى قُتِلا ، وعَلَى ثابتٍ دِرْعٌ ثَمِينٌ ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمينَ

---

(١) هُوَ ثابتُ بنُ قَيْس بن شَمَّاس الخَزْرَجي الأَنْصاري ، صَحابيٌّ ﷺ ، كانَ خَطِيبَ رَسُول اللّه ﷺ ، شَهِدَ أُحُداً وما بَعْدَها مِنَ المَشاهِد ، وعَنْ أَنَس بن مالك ﷺ أَنَّ رَسُول اللّه ﷺ افْتَقَدَ ثابتَ بنَ قَيْس ، فقالَ : (مَنْ يَعْلَمُ لِي عِلْمَهُ ؟) فَقالَ رَجُلٌ : أنا يا رسولَ اللّه ، فَذَهبَ فَوَجَدَهُ فِي مَنْزِلِهِ مُنَكِّساً رَأْسَهُ ، فقالَ : ما شَأْنُكَ ؟ قالَ : شَرٌّ ، كُنْتُ أَرفَعُ صَوْتِي فَوْقَ صَوْتِ رَسول اللّه ﷺ ، فَأَعْلَمَهُ ، فَقال رسولُ اللّه ﷺ للرجل : (اذْهَبْ فَقُلْ لَهُ : لَسْتَ مِنْ أَهْل النَّار ، ولكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الجنَّة) ، واسْتُشْهِدَ ثابتٌ يومَ اليَمامَةِ فِي خِلافَةِ سَيِّدنا أبي بَكْر الصِّديق ﷺ سَنَةَ ١٢ هـ .

فَأَخَذَهُ ، فَبَيْنَما رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمينَ نائِمٌ إِذْ أَتاهُ ثابِتٌ فِي مَنامِهِ ، فَقالَ : إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ إِنَّهُ حُلُمٌ فَتُضَيِّعَهُ ، إِنِّي لَمَّا قُتِلْتُ أَمْس ، مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمينَ فَأَخَذَ دِرْعِي ، ومَنْزِلُهُ فِي أَقْصَى النَّاسِ ، وعِنْدَ خِبائِهِ فَرَسٌ يَسْتَنُّ فِي طِوَلِهِ[1] ، فَأْتِ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ فَمُرْهُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَى دِرْعِي فَيَأْخُذَهُ مِنْهُ ، فَإِذا قَدِمْتَ المَدِينَةَ عَلَى خَلِيفَةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقُلْ لَهُ إِنِّي عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ كَذا وكَذا ، وفُلانٌ مِنْ رَقِيقِي عَتِيقٌ ، وفُلانٌ

---

(١) الطِّوَلُ : الحَبْلُ الطَّوِيلُ يُشَدُّ أَحَدُ طَرَفَيْهِ فِي وَتَدٍ أَوْ غَيْرِهِ ، والطَّرَفُ الآخَرُ فِي يَدِ الفَرَسِ لِيَدُورَ فِيهِ ويَرْعَى ولا يَذْهَبَ لِوَجْهِهِ .

.... ، فاسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ فَأَتَى خالِداً فَأَخْبَرَهُ ، فَبَعَثَ إِلَى الدِّرْعِ وأَتَى بِهِ ، وحَدَّثَ سَيِّدَنا أَبا بَكْرٍ بِرُؤْياهُ ، فَلا يُعْلَمُ أَحَدٌ أُجيزَتْ وَصِيَّتُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ غَيْرُ ثابِتٍ ، واسْتُشْهِدَ باليَمامَة .

ويَجْدُرُ بِنا فِي هَذا المُقام أَنْ نُزيلَ الالْتِباسَ الَّذِي أَشْكَلَ عَلَى فَهْمِ بَعْضِ النَّاسِ فِي قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ : (إِذا ماتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلاث : صَدَقَةٍ جارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صالِحٍ يَدْعُو لَهُ)[1] ، ولَيْسَتْ قِراءَةُ القارِئِ مِنْ بَعْدِهِ والهَدِيَّةُ مِنْ عَمَلِهِ ، لأَنَّ الخَبَرَ يَدُلُّ عَلَى انْقِطاعِ عَمَلِهِ ، لا عَمَلِ

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، والنَّسائِي .

غَيْرِهِ ، ولا يَمْتَنِعُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ مِنْ عَمَلِ غَيْرِهِ إذا عَمِلَهُ وجَعَلَ ثَوابَهُ إِلَيْه .

وأَمَّا قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (١) ، فَقالَ ابْنُ عَبَّاس رضي الله عنه : نَسَخَها قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ (٢) ، فَأُدْخِلَ الأَبناءُ الجَنَّةَ بِصَلاحِ الآباء .

وقالَ عِكْرِمَةُ رضي الله عنه : كانَ ذَلِكَ لِقَوْمِ إِبْراهِيمَ ومُوسَى عَلَيْهِما السَّلامُ ، أَلا تَرَى فِي أَوَّلِ

---

(١) سُورَةُ النَّجْم : الآيَة ٣٩ .

(٢) سُورَةُ الطُّور : مِنَ الآيَة ٢١ .

الآيَة : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (١)،

فَأَمَّا هَذِهِ الآيَةُ : فَلَهُمْ ما سَعَوْا وسَعْيُ غَيْرِهِمْ ؛ لِخَبَرِ سَعْدِ بنِ عُبادَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ : هَلْ لأُمِّي أَجْرٌ إِنْ تَطَوَّعْتُ عَنْها ؟ قالَ ﷺ : (نَعَم) ، وفِي حَدِيثٍ أَنَّهُ حَفَرَ بِئْراً وقالَ : يا رَبِّ ، هَذِهِ لأُمِّ سَعْد ، وخَبَرِ المَرْأَةِ الَّتي سَأَلَتْ : إِنَّ أَبِي ماتَ ولَمْ يَحُجَّ ، فَقالَ : حُجِّي عَنْهُ .

وقالَ الرَّبِيعُ بنُ أَنَسٍ رضي الله عنه : ﴿ وَأَن لَّيْسَ

---

(١) سُورَةُ النَّجْم : الآيَات ٣٦ ـ ٣٩ .

لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ يَعْنِي : الكافِر ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ فَلَهُ ما سَعَى غَيْرُهُ .

أَمَّا مَنْ تَوَهَّمَ وزَعَمَ أَنَّهُ يَحْرُمُ التَّوَسُّلُ بِالأَنْبياءِ والصَّالِحينَ ، قائِلاً بِأَنَّ كُلَّ مَنْ ماتَ لا يَنْفَعُ بَعْدَ مَوْتِهِ ، فَنُذَكِّرُهُ بِحَدِيثِ عَرْضِ الأَعْمالِ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذي مَرَّ بِنا سابِقاً ، كَما نُذَكِّرُهُ بِنَبِيِّ اللّٰهِ سَيِّدِنا مُوسَى عليه السلام ، وكَيْفَ نَفَعَ الأُمَّةَ المُحَمَّدِيَّةَ ما دامَ عَلَى وَجْهِ البَسِيطَةِ مُسْلِمٌ قائِمٌ لِلّٰهِ يُصَلِّي ؛ وذَلِكَ لَيْلَةَ الإِسْراءِ والمِعْراجِ لَمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ : ماذا فَرَضَ اللّٰهُ عَلَى أُمَّتِكَ ؟ فَقالَ ﷺ : (خَمْسِينَ صَلاةً) ، قالَ سَيِّدُنا مُوسَى عليه السلام : ارْجِعْ وسَلْ

رَبَّكَ التَّخْفِيفَ ، فَرَجَعَ ﷺ فَطَلَبَ التَّخْفِيفَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وفِي كُلِّ مَرَّةٍ كانَ سَيِّدُنا مُوسَى عليه السلام يَقُولُ لَهُ ﷺ : ارْجِعْ فَسَلِ التَّخْفِيفَ ، إِلَى أَنْ صِرْنَ خَمْسَ صَلَواتٍ بِأَجْرِ خَمْسِينَ .

فَهَلْ يَشُكُّ عاقِلٌ بِنَفْعِ سَيِّدِنا مُوسَى عليه السلام لِهَذِهِ الأُمَّةِ هَذا النَّفْعَ العَظِيم ، وقَدْ كانَ سَيِّدُنا مُوسَى عليه السلام تُوفِّيَ قَبْلَ لَيْلَةِ المِعْراجِ بِأَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ سَنَةٍ ، فَهَذا عَمَلٌ بَعْدَ المَوْتِ انْتَفَعَتْ بِهِ أُمَّةُ الحَبِيبِ الأَعْظَم ﷺ عَلَى مَدارِ السَّاعَةِ ، إِلَى قِيامِ السَّاعَة .

أَخْرَجَ السُّيُوطِي عَنِ ابْنِ أَبِي الدُّنْيا فِي (كِتاب القُبُور) عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها

أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : (ما مِنْ رَجُلٍ يَزورُ قَبْرَ أَخِيهِ ويَجْلِسُ عِنْدَهُ إِلَّا اسْتَأْنَسَ بِهِ ورَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى يَقُومَ) .

وأَخْرَجَ البَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ : (إِذا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرٍ يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ وعَرَفَهُ ، وإِذا مَرَّ بِقَبْرٍ لا يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ) .

وقَدْ صَحَّ فِي الأَحادِيثِ ورِواياتِ الثِّقاتِ العَيْنِيَّةِ أَنَّ الأَمْواتَ يَقْرَءُونَ القُرْآنَ فِي قُبُورِهِمْ إِذا كانُوا مِنْ أَهْلِهِ فِي الحَياةِ الدُّنْيا ، ومَنْ ماتَ مِنْهُمْ وانْتَقَلَ إِلَى الحَياةِ البَرْزَخِيَّةِ وهُوَ مُحِبٌّ لَهُ ولَمْ يُتِمَّ حِفْظَهُ ، رُبَّما سَخَّرَ اللّٰهُ لَهُ مَنْ

يُتَمِّمُ حِفْظَهُ لَهُ .

ومِثْلُ ذَلِكَ قَدْ جاءَ عَنْ طالِب العِلْم ، فَهُوَ فِي حُكْم صاحِبِ القُرْآنِ ، ويَكُونُ قُرْآنُهُ وعِلْمُهُ مِمَّا يَتَنَعَّمُ بِهِ هُناكَ ؛ فَحَياةُ البَرْزَخ حَياةُ سُمُوٍّ وارْتِقاءٍ وسُعُود ، لا حَياةَ حَبْسٍ وعُطْلَةٍ وخُمُود ، وذَلِكَ لِمَنْ آمَنَ ووَفَّى بِالعُهُود ، وقَدْ أَيْقَنَ هَذا مَنْ نَظَرَ بِنُورِ اللّهِ ، فَكانَ مِنْ أَهْلِ الشُّهُود .

وعَلَى الجُمْلَةِ ، فَقَدْ أَخْرَجَ أَبو نُعَيْم وغَيْرُهُ عَنْ سَعِيدِ بنِ جُبَيْر : أَنَّ الأَمْواتَ تَأْتِيهِمْ أَخْبارُ الأَحْياءِ فَيُسَرُّونَ بِها أَوْ يَحْزَنُونَ لَها ، وإِنَّهُمْ لَيَسْأَلُونَ الرُّوحَ القادِمَ عَنْ أَهْلِيهِمْ وذَوِيهِمْ كَما يَسْأَلُ الحَبِيبُ عَنْ حَبِيبِهِ .

وهَذا عَلَى التَّحْقِيقِ شَأْنُ الأَرْواحِ المُقَيَّدَةِ الَّتي لَمْ يُؤْذَنْ لَها فِي الانْطِلاقِ لِقُصُورِ عَمَلِها وقِلَّةِ زادِها ، ومَعَ ذَلِكَ لا يَحْرِمُها اللّهُ فَضْلَ العِلْمِ بِما يُهِمُّها مِنْ حالِ أَهْلِها : ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ (١) .

عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِي ، قالَ : قَدِمْتُ المَدِينَةَ ، وقَدْ وَقَعَ بِها مَرَضٌ ، فَجَلَسْتُ إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّاب ﷺ ، فَمَرَّتْ بِي جِنازَةٌ ، فَأُثْنِيَ عَلَى صاحِبِها خَيْراً ، فَقالَ عُمَرُ : وَجَبَتْ .. ثُمَّ مَرَّتْ أُخْرَى ، فَأُثْنِيَ عَلَيْها شَرًّا ، فَقالَ : وَجَبَتْ .. قالَ أَبو الأَسْوَد : فَقُلْتُ : وما وَجَبَتْ

---

(١) سُورَةُ الحُجُرات : مِنَ الآيَة ٨ .

يا أَمِيرَ المُؤْمِنين ؟ قالَ : قُلْتُ كَما قالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : (أَيَّما مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعُونَ - وفِي روايَةٍ أَرْبَعَةٌ - بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللّهُ الجَنَّةَ .. قُلْنا : وثَلاثَةٌ ؟ قالَ : وثَلاثَةٌ ، قُلْنا : واثْنان ؟ قالَ : واثْنان ، قالَ : ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الواحِد)[1].

وفِي خَبَرٍ آخَر : فَقالَ لَهُ عُمَرُ : يا رَسُولَ اللّهِ ، ما وَجَبَتْ ؟ فقالَ ﷺ : (أَنْتُمْ شُهَداءُ اللّهِ فِي الأَرْض ، فَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ ومَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ) .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيما يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، أَنَّهُ قالَ : (ما مِنْ

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخاري ، ومُسْلِمٌ ، والنَّسائِي .

عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ لَهُ ثَلاثَةٌ أَوِ اثْنانِ بِخَيْرٍ إِلَّا قالَ اللّٰهُ تَعالَى : قَدْ قَبِلْتُ شَهادَةَ عِبادِي عَلَى عَبْدِي ما عَلِمُوا ، وغَفَرْتُ لَهُ ما أَعْلَمُ) .

وفِي رِوايَةٍ : (.... يَشْهَدُ لَهُ ثَلاثَةُ بُيُوتٍ مِنْ جِيرانِهِ الأَدْنَيْنَ بِخَيْرٍ إِلَّا قالَ : قَدْ قَبِلْتُ شَهادَةَ عِبادِي)[1].

قالَ إِبْراهِيمُ بنُ أَدْهَم [2]: رَفَعْتُ جِنازَةً

---

(١) أَخْرَجَهُ الإِمامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ .

(٢) إبراهيمُ بنُ أَدْهَم بنِ مَنْصُور التَّمِيمِي البَلْخِي، أَبو إِسْحاق ، زاهِدٌ مَشهور ، كانَ مِن أبناء المُلوك، تَفَقَّهَ ورَحَلَ إِلى بَغْداد ، وجالَ فِي العِراقِ والشام والحِجاز ، وأَخَذَ العِلْمَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ فِي الأَقْطارِ الثلاثَةِ ، وكانَ مِنْ أَهْلِ الزُّهْدِ والوَرَعِ ، صَحِبَ أبا سُفْيانَ الثَّوْرِي والفُضَيْلَ بنَ عِياض ، وكانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وكانَتْ وَفاتُهُ سَنَةَ ١٦١ هـ .

بالسَّاحِلِ ، فَقُلْتُ : بارَكَ اللّهُ لِي فِي المَوْتِ ، فَقالَ قائِلٌ مِنَ السَّرِيرِ [1]: وما بَعْدَ المَوْتِ ، قالَ إبْراهِيمُ : فَدَخَلَ عَلَيَّ مِنْهُ رَهْبَةٌ حَتَّى ما قَدَرْتُ أَحْمِلُ قائِمَةً مِنَ السَّرِيرِ ، فَدُفِنَ المَيِّتُ ، وانْصَرَفَ النَّاسُ ، فَقَعَدْتُ عِنْدَ القَبْرِ مُفَكِّراً فِي القائِلِ مِنَ السَّرِيرِ ، فَغَلَبَتْنِي عَيْنايَ ، فَنِمْتُ ورَأْسِي عَلَى رُكْبَتِي عِنْدَ القَبْرِ وإذا بِشَخْصٍ قَدْ خَرَجَ مِنَ القَبْرِ ، أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهاً ، وأَطْيَبُهُمْ رِيحاً ، وأَنْقَى ثِياباً وهُوَ يَقُولُ : يا ابنَ أَدْهَم ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ ، مَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللّه ؟ قالَ : أَنا القائِلُ مِنَ

---

(١) السَّرِيرُ : النَّعْشُ الَّذي يُحْمَلُ عَلَيْهِ المَيِّت .

السَّرير : (وما بَعْدَ المَوْت) ، فَقُلْتُ لَهُ : باللّهِ الَّذي فَلَقَ الحَبَّةَ ، وبَرَأَ [١] النَّسْمَةَ وتَرَدَّى [٢] بالعَظَمَةِ ، إلَّا قُلْتَ لِي مَنْ أَنْتَ ؟ قالَ : أَنا السُّنَّةُ [٣] ؛ أَكُونُ لِصاحِبي فِي الدُّنْيا حافِظاً ، وعَلَيْهِ رَقِيباً ، وفِي القَبْرِ نُوراً ومُؤْنِساً ، وفِي القِيامَةِ سائِقاً وقائِداً إلَى الجَنَّة .

نَعَمْ ... سُبْحانَ مَنْ تَعَزَّزَ بالقُدْرَةِ وقَهَرَ العِبادَ بالمَوْت ، فَمَنْ تَزَوَّدَ بالتَّقْوَى فَما فاتَهُ فَوْت .

فَعَلَى العاقِلِ أَنْ يُحاسِبَ نَفْسَهُ عَلَى ما فاتَ مِنْ عُمْرِهِ ، ويَسْتَعِدَّ لِعاقِبَةِ أَمْرِهِ ، ويَتَزَوَّدَ

---

(١) بَرَأَ : خَلَقَ وأَوْجَدَ .

(٢) تَرَدَّى بالعَظَمَةِ : لَبِسَ رِداءَ العَظَمَة .

(٣) سُنَّةُ سَيِّدنا مُحَمَّد ﷺ والعَمَلُ بها .

صالِحَ العَمَلِ ، ولا يَغْتَرَّ بِالأَمَلِ ، فَإِنَّ مَنْ عاشَ ماتَ ، ومَنْ ماتَ فاتَ ، وكُلَّ ما هُوَ آتٍ آتٍ ، نَسْأَلُ اللّهَ أَنْ يُلْهِمَنا رُشْدَنا ، ويُوقِظَنا لاتِّباعِ أَوامِرِهِ واجْتِنابِ نَواهِيه .

كَذَلِكَ عَلَى العاقِلِ أَنْ يَتَفَكَّرَ ويَتَّعِظَ مِنْ سابِقِيه : يا ابْنَ آدَمَ ، أَيْنَ الماضُونَ مِنَ الأَوَّلِينَ والآخِرين ؟

أَيْنَ نُوحٌ شَيْخُ المُرْسَلِين ؟! أَيْنَ إِدْرِيسُ رَفِيعُ رَبِّ العالَمِين ؟! أَيْنَ مُوسَى تاجُ النَّبِيِّين ؟! أَيْنَ عِيسَى رُوحُ اللّهِ وكَلِمَتُهُ ، رَأْسُ الزَّاهِدِينَ وإِمامُ السَّائِحِين ؟!

أَيْنَ مُحَمَّدٌ خاتَمُ النَّبِيِّينَ ؟! أَيْنَ أَصْحابُهُ

الأَبْرارُ ؟! صَفْوَةُ الأُمَم أَجْمَعِين ؟!

أَيْنَ الأَوْلِياءُ الأَخْيار ؟! أَيْنَ الأُمَمُ الماضِيَة ؟!

أَيْنَ المُلُوكُ السَّالِفَة ؟! أَيْنَ القُرونُ الخالِيَة ؟!

أَيْنَ الَّذِينَ نُصِبَتْ عَلَى مَفارِقِهم التِّيجان ؟!

أَيْنَ الَّذِينَ قَهَروا الأَبْطالَ والشُّجْعان ؟!

أَيْنَ الَّذِينَ دانَتْ لَهُمُ المَشارِقُ والمَغارِب ؟!

أَيْنَ الَّذينَ تَمَتَّعُوا بِاللَّذَّاتِ والمَشارِب ؟!

أَيْنَ الَّذِينَ تاهُوا عَلَى الخَلائِقِ كِبْراً وعِتِيًّا ؟!

أَيْنَ الَّذِينَ راحُوا فِي الحُلَلِ بُكْرَةً وعَشِيًّا ؟!

أَيْنَ الَّذِينَ اغْتَرُّوا بِالأَجْنادِ والسُّلْطان ؟!

أَيْنَ أَصْحابُ السَّطْوَةِ والأَعْوان ؟!

أَيْنَ أَصْحابُ الإِمْرَةِ والوِلايات ؟!

أَيْنَ الَّذِينَ خَفَقَتْ عَلَى رُؤُوسِهِم الأَلْوِيَةُ والرَّايات ؟!

أَيْنَ الَّذِينَ قادُوا الجُيُوشَ والعَساكِر ؟!

أَيْنَ الَّذِينَ عَمَرُوا القُصُورَ والدَّساكِر [١] ؟!

أَيْنَ الَّذِينَ أُعْطُوا النَّصْرَ فِي مَواطِنِ الحُروبِ والمَواقِف ؟!

أَيْنَ الَّذِينَ أَمَّنُوا بِسَطْوَتِهِمْ كُلَّ خائِف ؟!

أَيْنَ الَّذِينَ مَلأُوا ما بَيْنَ الخافِقَيْنِ [٢] فَخْراً وعِزًّا ؟!

أَيْنَ الَّذِينَ تَضَعْضَعَتْ بِهِمُ الأَرْضُ هَيْبَةً وهَزًّا ؟!

---

(١) الدَّساكِر : جَمْعُ دَسْكَرَة ، تُطْلَقُ عَلَى بِناءِ المُلُوكِ وعَلَى القُرَى العَظِيمَة .

(٢) الخافِقان : مُثَنَّى الخافِق ، وهُوَ الأُفُق ، والمُرادُ هُنا أُفُقُ المَشْرِق ، وأُفُقُ المَغْرِب ؛ أي : ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِب .

هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزا [1]؟!

أَسْلَمَهُمُ الأَحِبَّةُ والأَوْلِياء ، وجَهَّزَهُمُ الإِخْوانُ والأَصْفِياء ، ونَسِيَهُمُ القُرَباءُ والبُعَدَاءُ ، فَأُنْسُوا وأُبْعِدُوا ، ولَوْ نَطَقُوا لأَنْشَدُوا :

مُقِيمٌ بِالْحَجُونِ رَهِينُ رَمْسٍ
وأَهْلِي رائِحُونَ بِكُلِّ وادِ [2]
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ لَهُمُ حَبِيباً
ولا كانُوا الأَحِبَّةَ فِي السَّوادِ [3]

---

(١) الرِّكْز : الصَّوْتُ الخَفِيُّ ، وفِي آخِر آيَةٍ مِنْ سُورَةِ ﴿مَرْيَم﴾ يَقولُ اللّهُ تعالى : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ .

(٢) الحَجُون : جَبَلٌ بِأَعْلَى مَكَّةَ عِنْدَهُ مَدافِنُ أَهْلِها ، والرَّمْسُ : القَبْر .

(٣) السَّواد : يُطْلَقُ عَلَى مُعْظَم النَّاس ، وسَوادُ الأَمِير : حاشِيَتُه .

فَعُوجُوا بِالسَّلام فَإِنْ أَبَيْتُمْ

فَأَوْمُوا بِالسَّلام عَلَى بِعادِ [1]

وإِنْ طالَ المَدَى وصَفا خَلِيلٌ

سِوانا فاذْكُرُوا صَفْوَ الْوِدادِ

فَلَوْ أَنَّا بِمَوْقِفِكُمْ وَقَفْنا

سَفَيْنا التُّرْبَ مِنْ مُهَجِ الْفُؤادِ

فَبِمُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرِ مُرْسَلٍ وهاد ، أَسْأَلُ اللّٰهَ رَبَّ العِباد ، أَنْ يَجْعَلَنا وأَهْلِينا وذَرارِينا مِنْ أَهْلِ الوِدادِ والإِسْعاد ، مِنْ يَوْمِنا إِلَى يَوْمِ التَّنَاد .

الرَّاجي عافِيَة رَبِّهِ الجَوَّاد

سعيد أبو الإسعاد

---

(١) فَعُوجُوا بالسَّلام : أي عُودوا ومُرُّوا عَلَيْنا مِنْ أَجْل السَّلام ، وأَوْمُوا : أشِيروا .

مَزيدُ حُسْنِ ظَنٍّ ورَجاء

إذا كانَ القُدومُ عَلَى أَكْرَمِ الكُرَماء

حُسْنُ الظَّنِّ باللهِ مُسْتَحَبٌّ عِنْدَ الاحْتِضار ، وفَضْلُهُ تَواتَرَتْ بِوُرُودِهِ الأَخْبار :

دَخَلَ واثِلَةُ بنُ الأَسْقَع ﷺ عَلَى مَرِيضٍ ، فَقالَ : أَخْبِرْنِي كَيْفَ ظَنُّكَ باللهِ ؟ قالَ : أَغْرَقَتْنِي ذُنُوبٌ لِي وأَشْرَفْتُ عَلَى هَلَكَةٍ ولَكِنِّي أَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّي ! فَكَبَّرَ واثِلَةُ وكَبَّرَ أَهْلُ البَيْتِ بتَكْبِيرِهِ وقالَ : اللهُ أَكْبَرُ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : (يَقُولُ اللهُ تَعالَى : أَنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي ما شاءَ)[1] ، ودَخَلَ النَّبِيُّ

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ، والبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِهِ .

ﷺ عَلَى شابٍّ وهُوَ يَمُوتُ ، فَقالَ : (كَيْفَ تَجِدُكَ ؟) ، قالَ : أَرْجُو اللّٰهَ وأَخافُ ذُنُوبِي ، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ : (ما اجْتَمَعا فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذا المَوْطِنِ إِلَّا أَعْطاهُ اللّٰهُ الَّذي يَرْجُو وآمَنَهُ مِنَ الَّذي يَخافُ) .

وقَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قالَ : (مَنْ أَحَبَّ لِقاءَ اللّٰهِ أَحَبَّ اللّٰهُ لِقاءَهُ ، ومَنْ كَرِهَ لِقاءَ اللّٰهِ كَرِهَ اللّٰهُ لِقاءَهُ) [1] .

هُنا مَسْأَلَةٌ يَجِبُ التَّنْبيهُ لَها ، وإِرْخاءُ العَنانِ لِلْقَلَمِ حَتَّى يَبْلُغَ الغايَةَ مِنْ بَيانِها ، وهِيَ : هَلْ كَوْنُ الإِنْسانِ (رَجُلاً كانَ أَمِ امْرَأَةً) يَكْرَهُ

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ عُبادَةَ بنِ الصَّامِت ﷺ .

المَوْتَ ، فَهُوَ بالضَّرورَةِ يَكْرَهُ لِقاءَ اللّهِ ؟ ويُزيلُ هَذا المُشْكِلَ ويُجَلِّي هَذا الأَمْرَ ، النَّظَرُ والاعْتِبارُ فِي سُنَّةِ المُخْتارِ ﷺ ؛ فَقَدْ جاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أُمِّ المُؤْمِنينَ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها : قالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : (مَنْ أَحَبَّ لِقاءَ اللّهِ أَحَبَّ اللّهُ لِقاءَهُ ، ومَنْ كَرِهَ لِقاءَ اللّهِ كَرِهَ اللّهُ لِقاءَهُ ، فَقُلْتُ : يا نَبِيَّ اللّه : أَكَراهِيَةُ المَوْتِ ؟ فَكُلُّنا يَكْرَهُ المَوْتَ ، فَقالَ ﷺ : لَيْسَ كَذَلِكَ ، ولَكِنَّ المُؤْمِنَ إذا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللّهِ ورِضْوانِهِ وجَنَّتِهِ أَحَبَّ لِقاءَ اللّهِ فَأَحَبَّ اللّهُ لِقاءَهُ ، وإنَّ الكافِرَ إذا بُشِّرَ بِعَذابِ اللّهِ وسَخَطِهِ كَرِهَ لِقاءَ اللّهِ وكَرِهَ اللّهُ لِقاءَهُ) .

وعَنْ مَعْنَى هَذا الحَدِيثِ قالَ الإمامُ النَّوَوِيُّ رضي الله عنه : الكَراهَةُ المُعْتَبَرَةُ هِيَ الَّتي تَكُونُ عِنْدَ النَّزْعِ فِي حالَةٍ لا تُقْبَلُ فِيها تَوْبَتُهُ ولا غَيْرُها فَحِينَئِذٍ يُبَشَّرُ كُلُّ إنْسانٍ بِما هُوَ صائِرٌ إلَيْهِ وما أُعِدَّ لَهُ ، ويُكْشَفُ لَهُ عَنْ ذَلِك .

وقالَ ثابِتٌ البُنانِي : كانَ شَابٌّ بِهِ حِدَّةٌ وكانَ لَهُ أُمٌّ تَعِظُهُ كَثِيراً وتَقُولُ لَهُ : يا بُنَيَّ إنَّ لَكَ يَوْماً فاذْكُرْ يَوْمَكَ ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللّهِ تَعالَى ، أَكَبَّتْ عَلَيْهِ أُمُّهُ وجَعَلَتْ تَقُولُ لَهُ : يا بُنَيَّ قَدْ كُنْتُ أُحَذِّرُكَ مَصْرَعَكَ هَذا وأَقُولُ إنَّ لَكَ يَوْماً ، فَقالَ : يا أُمَّاهُ إنَّ لِي رَبًّا كَثِيرَ المَعْروفِ وإنِّي لأَرْجُو أَنْ لا يَعْدِمَنِي اليَوْمَ بَعْضَ مَعْروفِهِ

قالَ ثابت : فَرَحِمَهُ اللّهُ بِحُسْنِ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ .

وقالَ جابِرُ بنُ وَداعَةَ : كانَ شابٌّ بِهِ رَهَقٌ فاحْتَضَرَ ، فَقالَتْ لَهُ أُمُّهُ : يا بُنَيَّ تُوصِي بِشَيْءٍ ؟ قالَ : نَعَم ، خاتَمِي لا تَسْلِبِينِيهِ ، فَإِنَّ فِيهِ ذِكْرَ اللّهِ تَعالَى ، فَلَعَلَّ اللّهَ يَرْحَمُنِي ، فَلَمَّا دُفِنَ رُئِيَ فِي المَنامِ ، فَقالَ : أَخْبِروا أُمِّي ، أَنَّ الكَلِمَةَ قَدْ نَفَعَتْنِي وأَنَّ اللّهَ قَدْ غَفَرَ لِي .

ومَرِضَ أَعْرابِيٌّ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّكَ تَمُوتُ ، فَقالَ : أَيْنَ يُذْهَبُ بِي ؟ قالُوا : إِلَى اللّه ، قالَ : فَما كَراهَتِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَى مَنْ لا يُرَى الخَيْرُ إِلَّا مِنْهُ .

وقالَ أَبو المُعْتَمِر بنُ سُلَيْمان : قالَ أَبِي لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفاةُ : يا مُعْتَمِرُ ، حَدِّثْنِي بِالرُّخَصِ

لعَلِّي أَلْقَى اللّٰهَ عَزَّ وجَلَّ وأَنا حَسَنُ الظَّنِّ بِهِ ، وكانوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يُذْكَرَ لِلْعَبْدِ مَحاسِنُ عَمَلِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ لِكَي يُحْسِنَ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ .

قالَ سَعِيدُ بنُ المُسَيِّب : لَمَّا احْتُضِرَ أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه أَتاهُ ناسٌ مِنَ الصَّحابَة فَقالوا : يا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ زَوِّدْنا فَإِنَّا نَراكَ لِما بِكَ ، فَقالَ أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه : مَنْ قالَ هَؤُلاءِ الكَلِماتِ ثُمَّ ماتَ ، جَعَلَ اللّٰهُ رُوحَهُ فِي الأُفُقِ المُبِين ، قالُوا : وما الأُفُقُ المُبِين ؟ قالَ رضي الله عنه : قاعٌ بَيْنَ يَدَي العَرْشِ فِيهِ رِياضُ اللّٰهِ وأَنْهارٌ وأَشْجارٌ ، يَغْشاهُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةُ رَحْمَةٍ ؛ فَمَنْ قالَ هَذا القَوْلَ جَعَلَ اللّٰهُ رُوحَهُ فِي هَذا المَكان :

(اللَّهُمَّ إِنَّكَ ابْتَدَأْتَ الخَلْقَ مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ بِكَ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ جَعَلْتَهُمْ فَرِيقَيْنِ ؛ فَرِيقاً لِلنَّعِيمِ وفَرِيقاً لِلسَّعِيرِ ، فاجْعَلْنِي لِلنَّعِيمِ ولا تَجْعَلْنِي لِلسَّعِيرِ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ الخَلْقَ فِرَقاً ومَيَّزْتَهُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْلُقَهُمْ ، فَجَعَلْتَ مِنْهُمْ شَقِيًّا وسَعِيدًا وغَوِيًّا ورَشِيدًا ، فَلا تُشْقِنِي بِمَعاصِيكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَلِمْتَ ما تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ قَبْلَ أَنْ تَخْلُقَها فَلا مَحِيصَ لَها مِمَّا عَلِمْتَ ، فاجْعَلْنِي مِمَّنْ تَسْتَعْمِلُهُ بِطاعَتِكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّ أَحَدًا لا يَشاءُ حَتَّى تَشاء ، فاجْعَلْ مَشِيئَتَكَ أَنْ أَشاءَ ما يُقَرِّبُنِي إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ قَدَّرْتَ حَرَكاتِ العِبادِ فَلا يَتَحَرَّكُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِكَ ، فاجْعَلْ حَرَكاتِي فِي

تَقْواكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ الخَيْرَ والشَّرَّ وجَعَلْتَ لِكُلٍّ واحِدٍ مِنْهُمْ عامِلاً يَعْمَلُ بِهِ ، فاجْعَلْنِي مِنْ خَيْرِ القِسْمَيْنِ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ الجَنَّةَ والنَّارَ وجَعَلْتَ لِكُلٍّ واحِدَةٍ مِنْهُما أَهْلاً ، فاجْعَلْنِي مِنْ سُكَّانِ جَنَّتِكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَرَدْتَ بِقَوْمٍ الضَّلالَ وضَيَّقْتَ بِهِ صُدُورَهُمْ ، فاشْرَحْ صَدْرِي للإِيمانِ وزَيِّنْهُ فِي قَلْبِي ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ دَبَّرْتَ الأُمُورَ وجَعَلْتَ مَصِيرَها إِلَيْكَ ، فَأَحْيِنِي بَعْدَ المَوْتِ حَياةً طَيِّبَةً وقَرِّبْنِي إِلَيْكَ زُلْفَى ، اللَّهُمَّ مَنْ أَصْبَحَ وأَمْسَى ثِقَتُهُ ورَجاؤُهُ غَيْرُكَ ، فَأَنْتَ ثِقَتِي ورَجائِي ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ)[1] .

---

(١) إِحْياءُ عُلوم الدِّين لِحُجَّةِ الإِسْلامِ الغَزالِي (كِتابُ ذِكْر المَوْتِ وما بَعْدَهُ) .

ويُرْوَى أَنَّ سَيِّدَنا مُعاوِيَةَ بنَ أَبي سُفْيانَ رضي الله عنه أَوْصَى ابْنَهُ قائِلاً : إذا وَفَّى أَجَلِي فَوَلِّ غُسْلِي رَجُلاً لَبِيباً ، فَإِنَّ اللَّبِيبَ مِنَ اللّهِ بِمَكانٍ ، فَلْيُنْعِمِ الغُسْلَ ولْيَجْهَرْ بِالتَّكْبِيرِ ، ثُمَّ اعْمَدْ إِلَى مِنْدِيلٍ فِي الخِزانَةِ فِيهِ ثَوْبٌ مِنْ ثِيابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وقُراضَةٌ مِنْ شَعْرِهِ وأَظْفارِهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، فاسْتَوْدِعِ القُراضَةَ أَنْفِي وفَمِي وأُذُنِي وعَيْنَيَّ ، واجْعَلِ الثَّوْبَ يَلِي جِلْدِي دُونَ أَكْفانِي ، ويا يَزِيدُ ، احْفَظْ وَصِيَّةَ اللّهِ فِي الوالِدَيْنِ ، فَإِذا أَدْرَجْتُمُونِي فِي جَرِيدَتِي ووَضَعْتُمُونِي فِي حُفْرَتِي ، فَخَلُّوا مُعاوِيَةَ وأَرْحَمَ الرَّاحِمِين .

ولَمَّا حَضَرَتْ سَيِّدَنا بِلالاً الحَبَشِيَّ رضي الله عنه الوَفاةُ ،

قالَتِ امْرَأَتُهُ : واحُزْناهُ ، فَقالَ : بَلْ واطَراباهُ ! غَداً نَلْقَى الأَحِبَّة ؛ مُحَمَّداً وحِزْبَه .

ولَمَّا قَرُبَ وَقْتُ مَوْتِ سَيِّدِنا عُمَرَ بنِ عَبْد العَزيز ﷺ ، قالَ : أَجْلِسُونِي ! فَأَجْلَسُوهُ ، فَقالَ : (أَنا الَّذي أَمَرْتَنِي فَقَصَّرْتُ ، ونَهَيْتَنِي فَعَصَيْتُ) ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، ولَكِن (لا إِلَهَ إِلَّا اللّه) ... ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَأَحَدَّ النَّظَرَ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقالَ : إِنِّي لأَرَى حَضَرَةً ؛ ما هُمْ بِإِنْسٍ ولا جِنٍّ ، ثُمَّ قُبِضَ ، رَحِمَهُ اللّه .

وقالَ الحَجَّاجُ الثَّقَفِيُّ عِنْدَ مَوْتِهِ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي فَإِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ إِنَّكَ لا تَغْفِرُ لِي ، فَكانَ عُمَرُ بنُ عَبْد العَزِيز ﷺ تُعْجِبُهُ هَذِهِ الكَلِمَةُ

مِنْهُ ، ولَمَّا حُكِيَ ذَلِكَ لِلْحَسَنِ البَصْرِيِّ قالَ : أَقالَها ؟ قالُوا : نَعَم ، قالَ : عَسَى .

وحُكِيَ عَنْ هارونَ الرَّشِيد أَنَّهُ انْتَقَى أَكْفانَهُ بِيَدِهِ عِنْدَ المَوْتِ ، وكانَ يَنْظُرُ إِلَيْها ويَقُولُ : ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ (١) ، يا مَنْ لا يَزُولُ مُلْكُهُ ، ارْحَمْ مَنْ زالَ مُلْكُهُ .

وقالَ رُوَيْم : حَضَرْتُ وَفاةَ أَبي سَعِيدٍ الخَرَّاز، وهُوَ يَقُولُ :

حَنِينُ قُلُوبِ العارِفينَ إِلَى الذِّكْرِ
وتَذْكارُهُمْ وَقْتَ الْمُناجاةِ لِلسِّرِّ
أُدِيرَتْ كُؤُوسٌ لِلْمَنايا عَلَيْهِمُ
فَأَغْفَوا عَنِ الدُّنْيا كإِغْفاءِ ذِي سُكْرِ

(١) سُورَةُ الحاقَّة : الآيتان ٢٨ ، ٢٩ .

هُـمُومُـهُـمُ جَـوَّالَـةٌ بِمُـعَسْـكَـرٍ

بِـهِ أَهْـلُ وُدِّ اللّٰهِ كالْأَنْـجُـمِ الزُّهْـرِ

فَأَجْـسامُـهُمْ فِي الْأَرْضِ قَـتْلَى بِحُبِّهِ

وأَرْواحُهُمْ فِي الْحُجْبِ نَحْوَ الْعُلا تَسْرِي

فَـما عَـرَّسُـوا إِلَّا بِقُـرْبِ حَبِـيبِـهِمْ

وما عَـرَّجُـوا مِنْ مَسِّ بُؤْسٍ ولا ضُرِّ

ونَضَّرَ اللّٰهُ وَجْهَ الإِمامِ الشَّافِعِيِّ فِي قَوْلِهِ :

ولَمَّا قَسا قَلْبِي وضاقَتْ مَذاهِبِي

جَعَلْتُ رَجائِي نَحْوَ عَفْوِكَ سُلَّما

تَعاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ

بِعَفْوِكَ رَبِّي كانَ عَفْوُكَ أَعْظَما

فَما زِلْتَ ذا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ

تَجُـودُ وتَـعْـفُـو مِـنَّـةً وتَـكَـرُّمـا

ورَحِمَ اللّهُ مَنْ قالَ مُحَسِّناً ظَنَّهُ بِمَوْلاه :

قـالَـتْ لِـيَ النَّـفْـسُ أَتـاكَ الرَّدَى

وأَنْـتَ فِي بَحْـرِ الْخَـطايـا مُـقِـيمْ

فَأَيْنَ حُسْنُ الزَّادِ ؟ قُلْتُ اقْصِري

فَـهَلْ يُـعِدُّ الـزَّادَ ضَـيْفُ الْكَـرِيمْ ؟

ووَصَّى آخَرُ أَنْ يَكْتُبُوا عَلَى شاهِدِ مَثْواه :

نَـزَلْتُ بِجـارٍ لا يُـخَـيَّبُ ضَـيْـفُهُ

أُرَجِّي نَجاتِي مِنْ عَذابِ جَهَنَّم

وإِنِّي عَلَى خَوْفٍ مِنَ اللّهِ واثِقٌ

بِإِنْـعامِـهِ واللّهُ أَكْـرَمُ مُـنْـعِـم

وقالَ مُحَمَّدُ بنُ أَبي الْعَتاهِيَة : آخِرُ شِعْرٍ قالَهُ (أَبي)[1] فِي مَرَضِهِ الَّذي تُوفِّيَ فِيهِ :

إِلَـهِـي لا تُعَـذِّبْـنِـي فَـإِنِّـي
مُقِـرٌّ بِالَّـذي قَـدْ كـانَ مِـنِّـي
ومَـا لِـي حِـيلَـةٌ إِلَّا رَجـائِـي
وعَفْوُكَ إِنْ عَفَوْتَ ، وحُسْنُ ظَنِّي
وكَـمْ مِـنْ زَلَّـةٍ لِـي فِـي الْبَـرايا
وَأَنْـتَ عَـلَـيَّ ذُو فَـضْـلٍ وَمَـنِّ

---

(١) أَبو العَتاهِيَة : إِسماعيلُ بنُ القاسِم بن سُوَيْدٍ العَنْزِي ويُكْنَى أَبا إِسْحاق ، وأَبو العَتاهِيَة لَقَبٌ لَهُ ، وهُوَ شاعِرٌ مُكْثِرٌ سَرِيعُ الخاطِر ، وكانَ يُجيدُ القَوْلَ فِي الزُّهْدِ والمَدِيح ، وُلِدَ سَنَةَ ١٣٠ هـ فِي عَيْنِ التَّمْر ، بِقُرْبِ الكُوفَةِ ، ونَشأَ فِي الكُوفَةِ ، وسَكَنَ بَغْدادَ ، ثُمَّ اتَّصَلَ بالخُلَفاء العَبَّاسِيِّين ، وعَلَتْ مَكانَتُهُ عِنْدَهُمْ ، تُوفِّيَ فِي بَغْدادَ سَنَةَ ٢١١ هـ .

يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْراً وإِنِّي
لَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي

وقالَ أَبُو جَعْفَرٍ المَنْصُور[1] عِنْدَ مَوْتِهِ : اللهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي ارْتَكَبْتُ عَظائِمَ الأُمُورِ جَراءَةً مِنِّي عَلَيْكَ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ الأَشْياءِ إِلَيْكَ : شَهادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ ، مَنًّا مِنْكَ لا مَنًّا عَلَيْكَ .

---

(١) هُوَ : عَبْدُ اللّٰه بنُ مُحَمَّد بن عَلِيِّ بن عَبْدِ اللّٰه بن العَبَّاس بن المُطَّلِب ، وأبو جَعْفَر كُنْيَتُهُ ، وُلِدَ سَنَةَ ٩٥ هـ واسْتُخْلِفَ بَعْدَ أَخِيه (السَّفاح) سَنَةَ ١٣٦ هـ ، وهُوَ بانِي مَدِينَةَ بَغْداد ، وكانَ يُلَقَّبُ أبا الدَّوانِيق ؛ لِمُحاسَبَتِه الكُتَّابَ والعُمَّال عَلَى الدَّوانيق (الدَّوانِيق : جَمْعُ دانِق ، وهُوَ سُدْسُ الدِّرْهَم) وكانَ فيهِ عَدْلٌ ، ولَهُ حَظٌّ مِنْ صَلاةٍ وعِلْمٍ وفِقْهٍ تُوُفِّيَ مُحْرِماً عَلَى باب مَكَّةَ فِي سادِس ذِي الحِجَّةِ سَنَةَ ١٥٨هـ ، ودُفِنَ ما بَيْنَ الحَجُون وبِئْر مَيْمُون ، وكانَتْ مُدَّةُ خِلافَتِهِ ٢٢ عاماً ، وخَلَفَهُ ابْنُهُ المَهْدِيُّ .

العِظَةُ والاعْتِبار

عَلَى أَعْتابِ المَقابِرِ ، وأَقْوالُ السَّادَةِ الأَخْيار

كانَ سَيِّدُنا عُثْمانُ بنُ عَفَّانَ رضي الله عنه إذا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى تَبْتَلَّ لِحْيَتُهُ ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ وقِيلَ لَهُ : تَذْكُرُ الجَنَّةَ والنَّارَ فَلا تَبْكِي ! وتَبْكِي إذا وَقَفْتَ عَلَى قَبْرٍ ؟ فَقالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ : (إنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجا مِنْهُ صاحِبُهُ ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ ، وإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَما بَعْدَهُ أَشَدُّ)[1].

وقِيلَ إنَّ سَيِّدَنا عَمْرَو بنَ العاص رضي الله عنه نَظَرَ إِلَى المَقْبَرَةِ فَنَزَلَ وصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، فَقِيلَ لَهُ : هَذا

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي ، وابنُ ماجَه ، والحاكِم .

شَيْءٌ لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ ؟

فَقالَ : ذَكَرْتُ أَهْلَ القُبُورِ وما حِيلَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَهُ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَقَرَّبَ إِلَى اللهِ بِهِما .

قالَ سَعِيدُ بنُ عَبْدِ اللهِ الأَزْدِي : شَهِدْتُ أَبا أُمامَةَ الباهِلِي وهُوَ فِي النَّزْعِ فَقالَ : يا سَعِيدُ إِذا مِتُّ فاصْنَعُوا بِي كَما أَمَرَنا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقالَ : (إِذا ماتَ أَحَدُكُمْ فَسَوَّيْتُمْ عَلَيْهِ التُّرابَ ، فَلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ عَلَى رَأْسِ قَبْرِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : يا فُلانُ ابنُ فُلانَة ، فَإِنَّهُ يَسْمَعُ ولا يُجِيبُ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : يا فُلانُ ابنُ فُلانَة (الثَّانِيَة) فَإِنَّهُ يَسْتَوِي قاعِداً ، ثُمَّ لِيَقُلْ : يا فُلانُ ابنُ فُلانَة (الثَّالِثَة) فَإِنَّهُ يَقُولُ : أَرْشِدْنا يَرْحَمُكَ

اللّه ، ولَكِنْ لا تَسْمَعُون ، فَيَقُولُ لَهُ : اذْكُرْ ما خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيا ، شَهادَةَ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّه ، وأَنَّكَ رَضِيتَ بِاللّهِ رَبًّا وبِالإِسْلام دِيناً وبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وبِالقُرْآنِ إِماماً ، فَإِنَّ مُنْكَراً ونَكِيراً يَتَأَخَّرُ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما فَيَقُولُ : انْطَلِقْ بِنا ، ما يُقْعِدُنا عِنْدَ هَذا وقَدْ لُقِّنَ حُجَّتَهُ ؟ ويَكُونُ اللّهُ عَزَّ وجَلَّ حَجِيجَهُ دُونَهُما) ، فَقالَ رَجُلٌ : يا رَسُولَ اللّه ، فَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ اسْمَ أُمِّهِ ؟ قالَ ﷺ : (فَلْيَنْسِبْهُ إِلَى حَوَّاء) [1] .

وقالَ حاتِمُ الأَصَمُّ : مَنْ مَرَّ بِالمَقابِرِ فَلَمْ

---

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِي .

يَتَفَكَّرْ لِنَفْسِهِ ولَمْ يَدْعُ لَهُمْ فَقَدْ خانَ نَفْسَهُ وخانَهُمْ .

وقالَ سُفْيانُ الثَّوْرِيُّ : مَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ القَبْرِ وَجَدَهُ رَوْضَةً مِنْ رِياضِ الجَنَّةِ ، ومَنْ غَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ وَجَدَهُ حُفْرَةً مِنْ حُفَرِ النَّار .

وكانَ الرَّبيعُ بنُ خُثَيْم قَدْ حَفَرَ فِي دارِهِ قَبْراً ، فَكانَ إذا وَجَدَ فِي قَلْبِهِ قَساوَةً دَخَلَ فِيهِ فاضْطَجَعَ ، ومَكَثَ ما شاءَ اللّٰهُ ثُمَّ يَقُولُ : ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ (١) ، يُرَدِّدُها ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَى نَفْسِه ، يا رَبِيعُ : قَدْ رَجَعْتَ ، فَاعْمَلْ .

---

(١) سُورَةُ المُؤْمِنُون : مِنَ الآيَتَيْنِ ٩٩ ، ١٠٠ .

وكَتَبَ رَجُلٌ إِلَى أَخٍ لَهُ : أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ الدُّنْيا حُلُمٌ والآخِرَةَ يَقَظَةٌ والمُتَوَسِّطَ بَيْنَهُما المَوْتُ ونَحْنُ فِي أَضْغاثِ أَحْلامٍ والسَّلام .

وكَتَبَ آخَرُ إِلَى أَخٍ لَهُ : إِنَّ الحُزْنَ عَلَى الدُّنْيا طَويلٌ والمَوْتَ مِنَ الإِنْسانِ قَريبٌ وللنَّقْصِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ نَصيبٌ ، وللبَلاءِ فِي جِسْمِهِ دَبيبٌ، فَبادِرْ قَبْلَ أَنْ تُنادَى بِالرَّحِيل ، والسَّلام .

وكانَ دَأْبُ الصَّالِحينَ الإِكْثارَ فِي دُعائِهِمْ تَأَسِّياً بِسَيِّدِنا رَسُولِ اللّهِ ﷺ والَّذي كانَ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِهِ : (اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيَّ سَكَراتِ المَوْت) ، فَلَقَدْ وَرَدَ أَنَّ المُطِيعَ المُسْتَعِدَّ لِلِقاءِ رَبِّهِ يَرَى مَلَكَ المَوْتِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وأَجْمَلِها ؛ فَقَدْ رَوَى

عِكْرِمَةُ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ سَيِّدَنا إبْراهِيمَ عليه السلام كانَ رَجُلاً غَيُوراً وكانَ لَهُ بَيْتٌ يَتَعَبَّدُ فِيهِ ، فَإذا خَرَجَ أَغْلَقَهُ ، فَرَجَعَ ذاتَ يَوْمٍ فَإذا بِرَجُلٍ فِي جَوْفِ البَيْتِ ، فَقالَ : مَنْ أَدْخَلَكَ دارِي ؟ فَقالَ : أَدْخَلَنِيها رَبُّها ! فَقالَ : أَنا رَبُّها ، فَقالَ : أَدْخَلَنِيها مَنْ هُوَ أَمْلَكُ بِها مِنِّي ومِنْكَ ، فَقالَ : مَنْ أَنْتَ مِنَ المَلائِكَةِ ؟ قالَ : أَنا مَلَكُ المَوْتِ ، قالَ : هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِيَنِي الصُّورَةَ الَّتِي تَقْبِضُ فِيها رُوحَ المُؤْمِنِ ؟ قالَ : نَعَمْ ، فَأَعْرِضْ عَنِّي ، فَأَعْرَضَ ثُمَّ الْتَفَتَ فَإذا هُوَ بِشابٍّ ، فَذَكَرَ مِنْ حُسْنِ وَجْهِهِ وحُسْنِ ثِيابِهِ وطِيبِ رِيحِهِ ، فَقالَ : يا مَلَكَ المَوْتِ ، لَوْ لَمْ يَلْقَ المُؤْمِنُ عِنْدَ المَوْتِ

إلَّا صُورَتَكَ كانَ حَسْبُهُ .

ومِنْهُ مُشاهَدَةُ المَلَكَيْنِ الحافِظَيْنِ ؛ قالَ وَهِيبٌ : بَلَغَنا أَنَّهُ ما مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ حَتَّى يَتَراءَى لَهُ مَلَكاهُ الكاتِبانِ عَمَلَهُ ، فَإِنْ كانَ مُطِيعاً قالا لَهُ : جَزاكَ اللّٰهُ عَنَّا خَيْراً فَرُبَّ مَجْلِسِ صِدْقٍ أَجْلَسْتَنا وعَمَلٍ صالِحٍ أَحْضَرْتَنا، وإِنْ كانَ فاجِراً قالا لَهُ : لا جَزاكَ اللّٰهُ عَنَّا خَيْراً فَرُبَّ مَجْلِسِ سُوءٍ أَجْلَسْتَنا وعَمَلٍ غَيْرِ صالِحٍ أَحْضَرْتَنا وكَلامٍ قَبِيحٍ أَسْمَعْتَنا فَلا جَزاكَ اللّٰهُ عَنَّا خَيْراً ؛ فَذَلِكَ شُخُوصُ بَصَرِ المَيِّتِ إِلَيْهِما ولا يَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيا أَبَداً .

وكانَ نَقْشُ خاتَمِ الوَلِيدِ بنِ عَبْدِ المَلِك :

(يا وَلِيدُ إنَّكَ مَيِّت) [1].

أَيُّها الشَّابُّ : لا تَغْتَرَّ بِشَبابِكَ ، فَإنَّ أَكْثَرَ مَنْ يَمُوتُ الشَّبابُ ، والدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ أَقَلَّ النَّاسِ الشُّيُوخُ .

---

(١) هُوَ : الوَلِيدُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ بن مَرْوان ، أبو العبَّاس مِن مُلُوكِ الدَّوْلَةِ الأَمَوِيَّةِ فِي الشَّامِ ، وُلِدَ سَنَةَ ٤٨ هـ ، وتَوَلَّى الخِلافَةَ بَعْدَ وَفاةِ أبيهِ سَنَةَ ٨٦ هـ ، فَوَجَّهَ القُوَّادَ لِفَتْحِ البلاد وكانَ مِنْ رِجالِهِ مُوسَى بنُ نُصَيْر ومَوْلاهُ طارقُ بنُ زِياد ، وامْتَدَّتْ فِي زَمَنِهِ حُدودُ الدَّوْلَةِ العَرَبِيَّةِ إلَى بِلادِ الهِنْدِ والتُّرْكُسْتان وأَطْرافِ الصِّين شَرْقاً ، وكانَ وَلُوعاً بالبُنْيانِ والعُمْران ، وهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَ المُسْتَشْفياتِ فِي الإسْلامِ ، وجَعَلَ لِكُلِّ أَعْمَى قائِداً يَتَقاضَى أَجْرَهُ مِنْ بَيْتِ المالِ ، وأَقامَ لِكُلِّ مُقْعَدٍ خادِماً ، ورَتَّبَ للقُرَّاءِ أَمْوالاً وأَرْزاقاً وأَقامَ بُيُوتاً ومَنازِلَ يَأْوِي إلَيْها الغُرَباء ، ووَسَّعَ المَسْجِدَ النبَوِيَّ ، وصَفَّحَ الكَعْبَةَ والمِيزابَ فِي مَكَّةَ ، ووَسَّعَ المَسْجِدَ الأَقْصَى ، وبَنَى مَسْجِدَ دِمَشْقَ الكَبِير المَعروف بالجامِعِ الأُمَوِي ، وتُوفِّيَ سَنَةَ ٩٦هـ ، ودُفِنَ بِدِمَشْقَ الشَّام .

يا أَيُّها الشَّابُّ : كَمْ مِنْ جَمَلٍ فِي التَّنُّورِ وأَبُوهُ يَرْعَى ، وكَمْ مِنْ طِفْلٍ فِي التُّرَابِ وجَدُّهُ يَحْيا .

وقالَ أَبو الحَسَنِ التِّهامِي :

حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جارِ
ما هَذِهِ الدُّنْيا بِدارِ قَرارِ
فَالْعَيْشُ نَوْمٌ والْمَنِيَّةُ يَقَظَةٌ
والْمَرْءُ بَيْنَهُما خَيالٌ سارِ

يَرْوِي العالِمُ الزَّاهِدُ أَبو بَكْر الطَّرْطُوشِي (والَّذي حَفِظَ اللّهَ حَيًّا فَحَفِظَهُ اللّهُ مَيِّتاً ؛ حَيْثُ تُوفِّيَ سَنَةَ ٥٢٠ هـ ، ودُفِنَ بِضَرِيحِهِ الكائِنِ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ والمُلْحَقِ بِمَسْجِدٍ يُعْرَفُ بِاسْمِهِ بِحَيِّ باب البَحْر بِمَنْطِقَةِ الجُمْرُك ،

والحَمْدُ لِلّهِ إِذْ وَفَّقَنِي لِزِيارَتِهِ وشاهَدْتُ آثارَ رَحْمَةِ اللّهِ عَلَى مَقامٍ لَهُ مَشْهُورٌ يُزار) ، يَرْوِي لَنا هَذا الإِمامُ العَّلامَةُ الثَّبْتُ الثِّقَةُ الحُجَّةُ الفَهَّامَةُ فِي كِتابِهِ (سِراجُ المُلُوك) حَدِيثاً جَرَى بَيْنَهُ وبَيْنَ صاحِبٍ لَهُ ، هَزَّ كِيانَهُ هَزًّا ، قالَ : (وهَأَنَذا أَحْكِي لَكَ أَمْراً أَصابَنِي وطَيَّشَ عَقْلِي ، وبَلْبَلَ فِكْرِي ، وقَطَّعَ نِياطَ قَلْبِي ، فَلا يَزالُ مِرْآةً لِي حَتَّى يُوارِيَنِي التُّرابُ ؛ وذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ يَوْماً بِالعِراقِ ، وأَنا أَشْرَبُ ماءً ، فَقالَ صاحِبٌ لِي (وكانَ لَهُ عَقْلٌ) : يا فُلانُ لَعَلَّ هَذا الإِناءَ الَّذي تَشْرَبُ فِيهِ الماءَ قَدْ كانَ إِنْساناً يَوْماً مِنَ الدَّهْرِ ؛ فَماتَ ، فَصارَ تُراباً

فاتَّفَقَ لِلْفَخَّارِيِّ أَنْ أَخَذَ تُرابَ القَبْرِ وضَرَبَهُ خَزَفاً ، وشَواهُ بِالنَّارِ ، فانْتَظَمَ إناءً كَما تَرَى ، وصارَ آنِيَةً يُمْتَهَنُ ويُسْتَخْدَمُ بَعْدَ أَنْ كانَ بَشَراً سَوِيًّا يَأْكُلُ ويَشْرَبُ ويَلَذُّ ويَطْرَبُ ... فَإذا الَّذي قالَهُ مِنَ الجائِزات ؛ فَإنَّ الإنْسانَ إذا ماتَ عادَ تُراباً كَما كانَ فِي النَّشْأَةِ الأُولَى ، ثُمَّ يَتَّفِقُ أَنْ يُحْفَرَ لَحْدُهُ ، ويُعْجَنَ بِالماءِ تُرابُهُ فَتُتَّخَذَ مِنْهُ آنِيَةٌ فَتُمْتَهَنَ فِي البُيُوتِ ، أَوْ لَبِنَةٌ فَتُبْنَى فِي الجِدار ، وقَدْ يَجُوزُ أَنْ تُغْرَسَ عِنْدَ قَبْرِهِ شَجَرَةٌ ، فَيَسْتَحِيلَ تُرابُ الإنْسانِ شَجَرَةً ووَرَقاً وثَمَرَةً ، فَبَيْنَما كانَ يَقْتاتُ صارَ قُوتاً ، وبَيْنَما كانَ يَأْكُلُ صارَ مَأْكُولاً ، ويَجُوزُ إذا حُفِرَ

قَبْرُهُ أَنْ تَسْفِيَ الرِّياحُ تُرابَهُ فَتَتَفَرَّقَ أَجْزاؤُهُ فِي بُطُونِ الأَوْدِيَّةِ والتُّلُولِ والْوِهاد) .

وقالَ قُسُّ بنُ ساعِدَةَ [1]:

فِـي الـذَّاهِبِـينَ الْأَوَّلِـينَ
مِـنَ الْقُـرُونِ لَـنا بَصائِرْ
لَـمَّـا رَأَيْـتُ مَـوارِداً
لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَها مَصادِرْ

---

(١) هُوَ : قُسُّ بنُ ساعِدَةَ بن عَمْرِو بن عَدِيٍّ ، مِنْ بَنِي إياد أَحَدُ حُكَماءِ العَرَب ، ومِنْ كِبارِ خُطَبائِهِمْ فِي الجاهِلِيَّةِ ، ويُقالُ : إنَّهُ أَوَّلُ عَرَبِيٍّ خَطَبَ مُتَوَكِّئاً عَلَى سَيْفِهِ أو عَصا ، وأَوَّلُ مَنْ قالَ فِي كلامِهِ : (أَمَّا بَعْدُ) ، وكانَ يَفِدُ عَلَى قَيْصرِ الرُّوم زائراً فَيُكْرِمُهُ ويُعَظِّمُهُ ، وهُوَ مَعْدودٌ مِنَ المُعَمِّرِينَ ، وأَدْرَكَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ النُّبُوَّة ، ورَآهُ فِي (عُكاظ) ، وسُئِلَ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقالَ : (إنِّي لأَرْجُو أَنْ يُبْعَثَ يَوْمَ القِيامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ) ، وتُوفِّيَ قُسٌّ سَنَةَ ٢٣ قَبْلَ الهجرة تَقْريباً .

ورَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَها

تَمْضِي الْأَصاغِرُ والْأَكابِرْ

لا يَرْجِعُ الْماضِي إِلَيْكَ

ولا مِنَ الْباقِينَ غابِرْ

سَكَنُوا الْبُيُوتَ فَوُطِّنُوا

إِنَّ الْبُيُوتَ هِيَ الْمَقابِرْ

أَيْقَنْتُ أَنِّي لا مَحالَةَ

حَيْثُ صارَ الْقَوْمُ صائِرْ

ورُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ سَيِّدَنا عَلِيَّ بنَ أَبِي طالِب ﷺ لَمَّا رَجَعَ مِنْ صِفِّينَ فَدَخَل أَوائِلَ الكُوفَةِ ، فَإِذا هُوَ بِقَبْرٍ ، فَقالَ : قَبْرُ مَنْ

هَذا ؟ قالُوا : قَبْرُ خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ[1]، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وقالَ : رَحِمَ اللّٰهُ خَبَّاباً ، أَسْلَمَ راغِباً ، وهاجَرَ طائِعاً ، وعاشَ مُجاهِداً ، وابْتُلِيَ فِي جِسْمِهِ آخِراً ، أَلا ولَنْ يُضِيعَ اللّٰهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً .

ثُمَّ مَضَى ﷺ ، فَإِذا قُبُورٌ ، فَجاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْها فَقالَ :

---

(١) خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ ، صَحابِيٌّ ، وهُوَ عَرَبِيٌّ لَحِقَهُ سِباءٌ فِي الجاهِلِيَّةِ فَبِيعَ بِمَكَّةَ ، وكانَ يَعْمَلُ السُّيُوفَ بها ، وهُوَ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الإِسْلام ، كانَ سادِسَ سِتَّةٍ فِي الإِسْلام، وهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلامَهُ ، اسْتَضْعَفَهُ المُشْرِكُونَ فَعَذَّبُوهُ لِيَرْجِعَ عَنْ دِينِهِ ، فَصَبَرَ ولَمْ يُعْطِ الكُفَّارَ ما سَأَلُوا ، إِلَى أَنْ كانَتِ الهِجْرَةُ ، فَهاجَرَ ، وشَهِدَ بَدْراً وأُحُداً والمَشاهِدَ كُلَّها مَعَ رَسُولِ اللّٰه ﷺ ، ونَزَلَ الكُوفَةَ ، ومَاتَ بها سَنَةَ ٣٧هـ ، وهُوَ أَوَّلُ مَنْ دُفِنَ بِظَهْرِ الكُوفَةِ مِنَ الصَّحابَةِ ﷺ .

السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيارِ المُوحِشَةِ ، والمَحالِّ المُقْفِرَةِ ، أَنْتُمْ لَنا سَلَفٌ ، ونَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ ، وبِكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ لاحِقُونَ ، اللهُمَّ اغْفِرْ لَنا ولَهُمْ وتَجاوَزْ عَنَّا وعَنْهُمْ ، طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعادَ ، وعَمِلَ لِلْحِساب ، وقَنِعَ بِالكَفافِ ، ورَضِيَ عَنِ اللّٰهِ تَعالَى .

ثُمَّ قالَ ﷺ : يا أَهْلَ القُبُور ، أَمَّا الأَزْواجُ فَقَدْ نُكِحَتْ ، وأَمَّا الدِّيارُ فَقَدْ سُكِنَتْ ، وأَمَّا الأَمْوالُ فَقَدْ قُسِّمَتْ ، هَذا خَبَرُ ما عِنْدَنا ، فَما خَبَرُ ما عِنْدَكُمْ ؟ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَصْحابِهِ وقالَ : أَما إِنَّهُمْ لَوْ تَكَلَّمُوا لَقالُوا : وَجَدْنا أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى .

وقالَ مَيْمُونُ بنُ مَهْران : خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ ابنِ عَبْدِ العَزيزِ إِلَى المَقْبَرَةِ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى القُبُورِ بَكَى ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقالَ : يا مَيْمُونُ ، هَذِهِ قُبُورُ آبائِي بَنِي أُمَيَّةَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُشارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيا فِي لَذَّاتِهِمْ وعَيْشِهِمْ !

قالَ أَبو مُوسَى التَّمِيمِي تُوفِّيَت امْرَأَةُ الفَرَزْدَق ، فَخَرَجَ فِي جِنازَتِها وُجُوهُ البَصْرَةِ ، وفِيهِمُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ ، فَقالَ لَهُ الحَسَنُ : يا أَبا فِراس ، ماذا أَعْدَدْتَ لِهَذا اليَوْم ؟ فَقالَ : شَهادَةَ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللّه ، مُنْذُ سِتِّينَ سَنَةً .

وقَدْ أَنْشَدوا فِي أَهْلِ القُبُور :

قِفْ بِالْقُبُورِ وَقُلْ عَلَى ساحاتِها
مَنْ مِنْكُمُ الْمَغْمُورُ فِي ظُلُماتِها

ومَـنِ الْمُكَرَّمُ مِنْكُمُ فِي قَعْرِها
قَدْ ذاقَ بَرْدَ الأَمْنِ مِنْ رَوَعاتِها
أَمَّا السُّكُونُ لِذِي الْعُيُونِ فَواحِدٌ
لا يَسْتَبِينُ الْفَضْلُ فِي دَرَجاتِها
لَوْ جاوَبُوكَ لَأَخْبَرُوكَ بِأَلْسُنٍ
تَصِفُ الْحَقائِقَ بَعْدُ مِنْ حالاتِها
أَمَّا الْمُطِيعُ فَنازِلٌ فِي رَوْضَةٍ
يُفْضِي إِلَى ما شاءَ مِنْ دَوْحاتِها
والْمُجْرِمُ الطَّاغِي بِها مُتَقَلِّبٌ
فِي حُفْرَةٍ يَأْوِي إِلَى حَيَّاتِها
وَقَفَ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمانَ عَلَى قَبْرِ وَلَدِهِ ، فَقالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أَرْجُوكَ لَهُ وأَخافُكَ عَلَيْهِ ،

فَحَقِّقْ رَجائِي وآمِنْ خَوْفِي .

ووَقَفَ أَبو سِنانَ عَلَى قَبْرِ وَلَدِهِ ، فَقالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ ما وَجَبَ لِي عَلَيْهِ ، فاغْفِرْ لَهُ ما وَجَبَ لَكَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّكَ أَجْوَدُ وأَكْرَمُ .

ووَقَفَ أَعْرابِيٌّ عَلَى قَبْرِ ابْنِهِ ، فَقالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ لَهُ ما قَصَّرَ فِيهِ مِنْ بِرِّي ، فَهَبْ لَهُ ما قَصَّرَ فِيهِ مِنْ طاعَتِكَ .

ولَمَّا ماتَ ذَرُّ بنُ عُمَرَ بنِ ذَرٍّ (بَعْدَما وَضَعَهُ فِي لَحْدِهِ) قالَ : يا ذَرُّ ، لَقَدْ شَغَلَنا الحُزْنُ لَكَ عَنِ الحُزْنِ عَلَيْكَ ، فَلَيْتَ شِعْرِي ماذا قُلْتَ وماذا قِيلَ لَكَ ؟ ثُمَّ قالَ : إِنَّ هَذا (ذَرًّا) مَتَّعْتَنِي بِهِ ما مَتَّعْتَنِي ، ووَفَّيْتَهُ أَجَلَهُ ورِزْقَهُ

ولَمْ تَظْلِمْهُ ، اللَّهُمَّ وقَدْ كُنْتَ أَلْزَمْتَهُ طاعَتَكَ وطاعَتِي ، اللَّهُمَّ ما وَعَدْتَنِي عَلَيْهِ مِنَ الأَجْرِ فِي مُصِيبَتِي فَقَدْ وَهَبْتُ لَهُ ذَلِكَ ، فَهَبْ لِي عَذابَهُ ولا تُعَذِّبْهُ ، فَأَبْكَى النَّاسَ ثُمَّ قالَ عِنْدَ انْصِرافِهِ : ما عَلَيْنا بَعْدَكَ مِنْ خَصاصَةٍ يا ذَرُّ ، وما بِنا إِلَى إِنْسانٍ مَعَ اللّهِ حاجَةٌ ، فَلَقَدْ مَضَيْنا وتَرَكْناكَ ، ولَوْ أَقَمْنا ما نَفَعْناكَ .

فَوَجَبَ عَلَى مَنْ ماتَ وَلَدُهُ أَوْ قَرِيبٌ مِنْ أَقارِبِهِ أَنْ يُنْزِلَهُ (فِي تَقَدُّمِهِ عَلَيْهِ فِي المَوْتِ) مَنْزِلَةَ ما لَوْ كانا فِي سَفَرٍ فَسَبَقَهُ الوَلَدُ إِلَى البَلَدِ الَّذي هُوَ مُسْتَقَرُّهُ ووَطَنُهُ ؛ فَإِنَّهُ لا يَعْظُمُ عَلَيْهِ تَأَسُّفُهُ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ لاحِقٌ بِهِ عَلَى القُرْبِ ،

ولَيْسَ بَيْنَهُما إلَّا تَقَدُّمٌ وتَأَخُّرٌ ، وهَكَذا المَوْتُ فَإنَّ مَعْناهُ السَّبْقُ إلَى الوَطَنِ إلَى أنْ يَلْحَقَ المُتَأَخِّرُ، وإذا اعْتَقَدَ هَذا قَلَّ جَزَعُهُ وحُزْنُهُ، لا سِيَّما وقَدْ وَرَدَ فِي مَوْتِ الوَلَدِ مِنَ الثَّواب ما يُعَزَّى بِهِ كُلُّ مُصاب ، قالَ رَسُولُ اللّه ﷺ : (لَسِقْطٌ أُقَدِّمُهُ بَيْنَ يَدَيَّ أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ فارِسٍ أُخَلِّفُهُ خَلْفِي)[1]، وإنَّما ذَكَرَ السِّقْطَ تَنْبِيهاً بالأَدْنَى عَلَى الأَعْلَى ، وإلَّا فالثَّوابُ عَلَى قَدْرِ مَحَلِّ الوَلَدِ مِنَ القَلْبِ .

قالَ زَيْدُ بنُ أَسْلَمَ : تُوفِّيَ ابنٌ لِسَيِّدِنا داودَ عليه السلام فَحَزِنَ عَلَيْهِ حُزْناً شَدِيداً ، فَقِيلَ لَهُ : ما

---

(١) أَخْرَجَهُ ابنُ ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

كانَ عَدْلُهُ عِنْدَكَ ؟ قالَ : مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً ! قِيلَ لَهُ : فَإِنَّ لَكَ مِنَ الأَجْرِ فِي الآخِرَةِ مِثْلَ ذَلِك .

قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (لا يَمُوتُ لأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمينَ ثَلاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ فَيَحْتَسِبُهُمْ إِلَّا كانُوا لَهُ جُنَّةً مِنَ النَّار) ، فَقالَتِ امْرَأَةٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ : أَوِ اثْنان ؟ قالَ ﷺ : (أَوِ اثْنان) [1].

ولْيُخْلِصِ الوالِدُ الدُّعاءَ لِوَلَدِهِ عِنْدَ المَوْتِ فَإِنَّهُ أَرْجَى دُعاءٍ وأَقْرَبُهُ إِلَى الإِجابَة .

(١) مُوَطَّأُ الإمام مالِك .

تُحْفَةُ الزَّائِر
بِقُدْسِيَّةِ المَقابِر

زِيارَةُ المَقابِرِ مُسْتَحَبَّةٌ عَلَى الجُمْلَةِ لِلتَّذَكُّرِ والاعْتِبار ، وزِيارَةُ قُبُورِ الصَّالِحينَ مُسْتَحَبَّةٌ لأَجْلِ التَّبَرُّكِ مَعَ الاعْتِبار ، فَيَنْبَغِي عَلَى مَنْ عَزَمَ عَلَى الزِّيارَةِ أَنْ يَتَأَدَّبَ بِآدابِها ، ويُحْضِرَ قَلْبَهُ فِي إِعْمالِ الفِكْرِ فِيمَنْ نَزَلَ بِها ، وكَيْفَ أَنَّ حالَهُمْ يُحَدِّدُهُ صَلاحُهُمْ ، إِلَّا أَنْ يَتَجاوَزَ الرَّؤُوفُ الحَنَّان ، بِعَفْوٍ وغُفْران ، فَهُوَ وَلِيُّ ذَلِكَ والقادِرُ عَلَيْهِ وهُوَ الرَّحِيمُ الرَّحْمٰن ؛ فَيَجِبُ عَلَى الزَّائِرِ أَلَّا يَكُونَ حَظُّهُ الطَّوافَ عَلَى الأَجْداثِ والجُدْران ، بَلْ عَلَى حُضُورِ

عَقْلٍ وخُشُوعِ جَنان ، وسَبِيلُهُ إِلَى ذَلِكَ :

● إِخْلاصُ النِّيَّةِ ؛ فَيَقْصِدُ بِزِيارَتِهِ وَجْهَ اللّهِ تَعالَى ، وإِصْلاحَ فَسادِ قَلْبِهِ ، ونَفْعَ المَيِّتِ (بِما يَتْلُوهُ عِنْدَهُ مِنَ القُرْآنِ ، والدُّعاءِ لَهُ) .

● فَإِذا وَصَلَ إِلَى المَقابِرِ ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِها بِما صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى المَقْبَرَةِ ، فَقالَ : (السَّلامُ عَلَيْكُمْ دارَ قَوْمٍ مُؤْمِنينَ ، وإِنَّا إِنْ شاءَ اللّهُ بِكُمْ لاحِقُون) [1].

وعَنْ سُلَيْمانَ بنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ، قالَ : كانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذا خَرَجَ إِلَى المَقابِرِ

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبو داودَ فِي سُنَنِهِ .

هُوَ وأَصْحابُهُ يَأْمُرُهُمْ أَنْ يَقُولُوا : (السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِناتِ، والمُسْلِمينَ والمُسْلِماتِ ، أَنْتُمْ لَنا فَرَطٌ [١]، وإِنَّا إِنْ شاءَ اللّٰهُ بِكُمْ لاحِقُون ، نَسْأَلُ اللّٰهَ لَنا ولَكُمُ العافِيَة)[٢] .

● أَنْ يَأْتِيَ مِنْ تِلْقاءِ وَجْهِ المَيِّتِ (بِأَنْ يَقِفَ مُسْتَدْبِرَ القِبْلَةِ مُسْتَقْبِلاً بِوَجْهِهِ المَيِّتِ) ؛ فَإِنَّكَ فِي زِيارَتِهِ كَمُخاطَبَتِهِ حَيًّا ، فَلَوْ خاطَبْتَهُ حَيًّا اسْتَقْبَلْتَهُ بِوَجْهِكَ ، وكَذَلِكَ هاهُنا .

● أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى المَيِّتِ كَما تُسَلِّمُ عَلَى مَنْ تَزُورُهُ مِنَ الأَحْياءِ ، فَقَدْ كانَ ابنُ عُمَرَ رضي الله عنه لا

---

(١) فَرَطٌ : مُتَقَدِّمُونَ .

(٢) أَخْرَجَهُ النَّسائِي ، والبَيْهَقِي .

يَمُرُّ بِقَبْرٍ إِلَّا وَقَفَ وسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وقالَ نافِعٌ : كانَ ابنُ عُمَرَ ﷺ يَجِيءُ إِلَى القُبُورِ الشَّرِيفَةِ فَيَقُولُ : السَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ ، السَّلامُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ، السَّلامُ عَلَى أَبِي ، ويَنْصَرِفُ ، رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مَرَّة .

وقالَ سُلَيْمانُ بنُ سُحَيْم : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي المَنام ، فَقُلْتُ : يا رَسُولَ اللّٰه ، هَؤُلاءِ الَّذينَ يَأْتُونَكَ ويُسَلِّمُونَ عَلَيْكَ ، أَتَفْقَهُ سَلامَهُمْ ؟ قالَ : (نَعَمْ ، وأَرُدُّ عَلَيْهِمْ) .

قالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ : إِذا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ يَعْرِفُهُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ، وإِذا مَرَّ بِقَبْرٍ لَمْ يَعْرِفْهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ ،

وإِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى القَبْرِ يُسَلِّمُ مِنْ بَعِيدٍ .

● اجْتِنابُ مَسِّ القَبْرِ وتَقْبِيلِهِ ، ومَسْحِهِ عَلَى وَجْهِهِ لِلتَّبَرُّكِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ عُلَماءِ المُسْلِمينَ ، قالَ أَبو أُمامَةَ : رَأَيْتُ أَنَسَ بنَ مالِكٍ أَتَى إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَوَقَفَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ افْتَتَحَ الصَّلاةَ ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ انْصَرَفَ .

وكَذَلِكَ يَجْتَنِبُ إِلْقاءَ نَفْسِهِ عَلَى القَبْرِ ، والتَّمَعُّكَ بِتُرابِهِ (أَي التَّمَرُّغُ والتَّقَلُّبُ فِيهِ) ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنَ الأَدَبِ ؛ بَلَغَنا أَنَّ رَجُلاً أَلْقَى نَفْسَهُ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَناداهُ شابٌّ مِنْ ناحِيَةِ المَسْجِدِ : لَوْ كانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ

بَيْنَ ظَهْرانِينا ثُمَّ أَتَيْتَ تَزُورُهُ ، ما كُنْتَ صانِعاً ؟ قالَ : أَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ وأُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، قالَ : كَذَلِكَ فافْعَلْ .

● القِراءَةُ ؛ أَي قِراءَةُ القُرْآنِ عَلَى القَبْرِ ، قالَ المَرُوزِي : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَل ﵁ يَقُولُ : إِذا دَخَلْتُمُ المَقابِرَ فاقْرَأُوا بِفاتِحَةِ الكِتابِ ، وقُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَد ، والمُعَوِّذَتَيْنِ ، وأَهْدُوها لَهُمْ فَإِنَّها تَصِلُ إِلَيْهِمْ .

قالَ الحافِظُ عَبْدُ الغَنِي : والَّذي رَأَيْناهُ فِي أَمْصارِ الإِسْلامِ ، شاهَدْناهُمْ حَيْثُ يَمُوتُ المَيِّتُ مِنْهُمْ ، يَقْرَأُونَ القُرْآنَ عِنْدَهُ قَبْلَ دَفْنِهِ، وعَلَى قَبْرِهِ إِذا دُفِنَ ، ويَجْتَمِعُونَ عَلَى ذَلِكَ

ويَحْرِصُونَ عَلَيْهِ ، ومَنْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ بِنَفْسِهِ فَعَلَهُ ، أَوِ اسْتَعَانَ بِمَنْ يُمْكِنُهُ الاسْتِعانَةُ بِهِ عَلَى ذَلِكَ ، ومِنْهُمْ مَنْ يَقْرَأُ القُرْآنَ عَلَى قَبْرِ قَرِيبِهِ ، راجِينَ مِنَ اللّهِ تَعالَى فِي ذَلِكَ المَثُوبَةَ والإِحْسانَ لَهُمْ ولِمَيِّتِهِمْ ، ومَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ رَأَوْهُ مُقَصِّراً ، ولا يُنْكِرُ ذَلِكَ مُنْكِرٌ ، بَلْ يُحِبُّونَهُ ويَسْتَحِبُّونَهُ ، واللّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَرُدَّ قَصْدَهُمْ ، أَوْ يُخَيِّبَ ظَنَّهُمْ ، أَوْ يَمْنَعَهُمْ ما طَلَبُوا .

قالَ الإِمامُ العارِفُ مَوَفَّقُ الدِّينِ بنُ عُثْمان[1]: سَمِعْتُ الحافِظَ أَبا العِزِّ عَبْدَ المُغِيثِ بنَ زُهَيْرٍ الحَرْبِيَّ ، يَقُولُ : لَمَّا اسْتُشْهِدَ القاضِي

---

(١) فِي كِتابِهِ (مُرْشِد الزُّوَّار إِلَى قُبُور الأَبْرار) .

أَبو الحَسَن مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الفَرَّاءِ البَغْدادِي ، خُتِمَ عَلَى قَبْرِهِ فِي يَوْمٍ واحِدٍ زِيادَةٌ عَنْ مِائَةِ خَتْمَةٍ ، وهَذا لا يَكُونُ إلَّا مِنْ جَمٍّ غَفِيرٍ ، ولِتَطابُقِ مِثْلِ هَذا القَدْرِ الكَبِيرِ مِنَ النَّاسِ عَلَى مِثْلِ هَذا وفِعْلِهِمْ لَهُ ، ولا يُوجَدُ مُنْكِرٌ ولا عائِبٌ ، يَصِيرُ كالإجْماع .

رُوِيَ عَنْ عاصِمٍ ، عَنْ زَيْدِ بنِ عَبْدِ اللّهِ ، قالَ : إنَّ اللّهَ تَعالَى نَظَرَ فِي قُلُوبِ العِبادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ العِبادِ ، فاصْطَفاهُ لِنَفْسِهِ ، وبَعَثَهُ بِرِسالَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ قُلُوبَ العِبادِ بَعْدَ قَلْبِهِ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ العِبادِ بَعْدَ قَلْبِهِ ، فَجَعَلَهُمْ وُزَراءَ نَبِيِّهِ ﷺ ،

يُقاتِلُونَ عَنْ دِينِهِ ، فَما رَآهُ المُسْلِمُونَ حَسَناً فَهُوَ عِنْدَ اللّهِ حَسَنٌ ، وما رَآهُ المُسْلِمُونَ سَيِّئاً فَهُوَ عِنْدَ اللّهِ سَيِّئٌ .

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ البَدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ خَرَجَ أَصْحابُهُ يُشَيِّعُونَهُ إِلَى القادِسِيَّةِ ، فَلَمَّا ذَهَبُوا يُفارِقُونَهُ قالوا : رَحِمَكَ اللّهُ ، قَدْ رَأَيْتَ خَيْراً ، وشَهِدْتَ خَيْراً ، حَدِّثْنا حَدِيثاً ، عَسَى اللّهُ أَنْ يَنْفَعَنا بِهِ ، قالَ : أَجَلْ ، رَأَيْتُ خَيْراً ، وشَهِدْتُ خَيْراً ، فاتَّقُوا اللّهَ وعَلَيْكُمْ بِالجَماعَةِ ، فَإِنَّ اللّهَ لَمْ يَجْعَلْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَى ضَلالَةٍ ، فاصْبِرُوا حَتَّى يَسْتَرِيحَ بارٌّ ، ويُسْتَراحَ مِنْ فاجِرٍ .

وقَدْ رُوِيَ عَنْ سُلَيْمانَ التَّيْمِي ، عَنْ أَبِي عُثْمانَ

عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَعْقَلِ بنِ يَسارٍ ، قالَ : قالَ رَسُولُ اللّه ﷺ : (اقْرَأُوا يٰسٓ عَلَى مَوْتاكُمْ) [1].

وأَخْرَجَ الإمامُ أَحْمَدُ عَنْ مَعْقَلِ بنِ يَسارٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ قالَ : (البَقَرَةُ سِنامُ القُرْآنِ وذِرْوَتُهُ ، نَزَلَ مَعَ كُلِّ آيَةٍ مِنْها ثَمانُونَ مَلَكاً ، واسْتُخْرِجَتْ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ ، فَوُصِلَتْ بِها (أَي : سُورَة البَقَرَة) ، ويٰسٓ قَلْبُ القُرْآن ، لا يَقْرَؤُها رَجُلٌ يُرِيدُ اللّهَ تَعالَى والدَّارَ الآخِرَةَ إِلَّا غَفَرَ اللّهُ لَهُ ، فاقْرَأُوها عَلَى مَوْتاكُمْ) .

قالَ الحافِظُ عَبْدُ الغَنِي : وقَدْ رَوينا عَنْ أَبِي

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، والطَّبَرانِي .

المَحاسِنِ عَبْدِ الرَّزَّاق بنِ إسْماعِيلَ بنِ مُحَمَّدِ ابنِ عُثْمانَ القَرْمَسانِي بِهَمَذانَ ، أَخْبَرَنا الحافِظُ أَبُو شُجاعٍ شِيرَوَيْه بنُ شَهْرِ دارِ بنِ شِيرَوَيْه الدَّيْلَمِي ، قالَ : سَمِعْتُ أَبا عَلِيٍّ أَحْمَدَ ابنَ مَسْعُودٍ العَجْلِيَّ ، يَقُولُ : رَأَيْتُ أُمِّي ، أُمَّ الفَرَجِ بِنْتَ مُحَمَّدِ بنِ عُثْمانَ القَرْمَسانِي فِي المَنامِ فِي قَبْرِها ، فَقُلْتُ لَها : أَخْبِرِينِي ما رَأَيْتِ ، كُنْتِ تَقُولِينَ أَخافُ مِنْ أَوَّلِ لَيْلَةٍ فِي القَبْرِ ، كَيْفَ كُنْتِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ؟ فَقالَتْ : رَأَيْتُ مِنَ الخَيْرِ والرَّاحَةِ ما لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُهُ فِي أَيَّامِ حَياتِي ، فَقُلْتُ لَها : ما أَبْعَثُهُ إِلَيْكِ مِنَ الصَّدَقَةِ وما أَدْعُو بِهِ ، هَلْ يَصِلُ إِلَيْكِ فِي القَبْرِ ؟

قالَتْ : نَعَمْ ، الكُلُّ يَصِلُ إِلَيَّ ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِثْلَما تَقْرَأُ عَلَى رَأْسِ قَبْرِي ﴿يسٓ﴾ فَإِنِّي أَجِدُ راحَةً مِنْ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنَ الصَّدَقَةِ والدُّعاء .

وحُكِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ المَدَنِيِّ ، قالَ : ماتَ قَريبٌ لِي ، فَرَأَيْتُ فِي المَنامِ كَأَنَّ وَجْهَهُ نُورٌ يَتَلَأْلَأُ ، فَقُلْتُ لَهُ : ما هَذا النُّورُ ؟ فَقالَ : جارُنا فُلانٌ (وسَمَّاهُ باسْمِهِ) زارَنا وقَرَأَ سُورَةَ الإِخْلاصِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، وقَسَّمَ ثَوابَها بَيْنَ أَهْلِ القُبُورِ ، فَأَصابَنِي مِنَ النُّورِ ما تَرَى .

ورَوَى أَبو مُحَمَّدٍ السِّمْنانِيُّ ، قالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمٰن بنَ جُمُعَةَ الكُوفِيَّ ، يَقُولُ : رَأَيْتُ فِيما

يَرَى النَّائِمُ كَأَنِّي أَمُرُّ فِي مَقْبَرَةٍ مِنَ المَقابِرِ ، فَرَأَيْتُهُمْ فِي جَلَبَةٍ وتَشْوِيشٍ ، فَقُلْتُ : ما هَذا الَّذي أَرَى بِكُمْ ؟ فَقالُوا : مَرَّ عَبْدٌ مِنْ عِبادِ اللّهِ ، فَقَرَأَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ سُورَةَ الإِخْلاصِ ، فَقالَ : يا رَبِّ ، قَدْ جَعَلْتُ أَجْرَها لِمَنْ فِي هَذِهِ المَقْبَرَةِ ، فَنَحْنُ نَقْتَسِمُ أَجْرَها مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فِيما بَيْنَنا .

ورُوِيَ عَنِ الطَّلائِعي ، قالَ : كُنْتُ أَزُورُ قَبْرَ إِبْراهِيمَ بنِ شَيْبانَ [1] كُلَّ يَوْمٍ وأَقْرَأُ جُزْءاً مِنَ القُرْآنِ ، وأَهَبُ ثَوابَ ذَلِكَ الجُزْءِ لَهُ ،

---

(١) هُوَ إِبْراهيمُ بنُ شَيْبانَ القِرْمِسِينِيُّ ، أَبو إِسْحاق ، لَهُ مَقاماتٌ فِي الوَرَعِ والتَّقْوَى ، وكانَ شَدِيدَ التَّمَسُّكِ بِالكِتابِ والسُّنَّةِ ، وكانَتْ وَفاتُهُ سَنَةَ ٣٢٦ هـ .

فَجِئْتُ يَوْماً وجَلَسْتُ عِنْدَ قَبْرِهِ ، وتَفَكَّرْتُ فِي حالِهِ ودَرَجَتِهِ عِنْدَ اللّهِ تَعالَى ساعَةً ، ثُمَّ قُمْتُ وما قَرَأْتُ شَيْئاً ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيَّ اللَّيْلُ رَأَيْتُهُ فِي المَنام ، فَقالَ : يا أَبا عَلِيٍّ ، كُنْتَ تَقْرَأُ شَيْئاً وتَجْعَلُ ثَوابَهُ لَنا ، فَلِمَ تَرَكْتَ اليَوْمَ ؟ فَقُلْتُ يا شَيْخُ ، ومِثْلُكَ يَحْتاجُ إِلَى ثَوابِ قِراءَتِنا ؟ فَقالَ : يا أَبا عَلِيٍّ ، ومَنْ يَشْبَعُ مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ تَعالَى .

قالَ الحافِظُ عَبْدُ الغَنِي[1]: سَمِعْتُ أَخِي أَبا إِسْماعِيلَ بنَ إِبْراهِيمَ بنِ عَبْدِ الواحِدِ بنِ عَلِيٍّ

---

(١) هُوَ الإمامُ عَبدُ الغَنِي بنُ عَبْدِ الواحِدِ بنِ عَلِيِّ بنِ سُرورٍ المَقْدِسِيُّ الحَنْبَلِيُّ ، الحافِظُ ، أَوْحَدُ زَمانِهِ فِي عِلْمِ الحَدِيثِ والحِفْظِ ، صاحِبُ (العُمْدَة) ، و(الكَمال) ، وغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ التَّصانِيف ، نَزَلَ مِصْرَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ ، ومَاتَ بِها سَنَةَ ٦٠٠ هـ .

المَقْدِسِيَّ ، يَقُولُ : رَأَيْتُ خالِي الشَّيْخَ الصَّالِحَ أَبا العَبَّاسِ أَحْمَدَ بنَ مُحَمَّدِ بنِ قُدامَةَ المَقْدِسِيَّ فِي النَّوْمِ ، وكانَ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحابِنا كُلَّ لَيْلَةِ جُمُعَةٍ يَخْتِمُونَ القُرْآنَ ، ويَجْعَلُونَ ثَوابَهُ لأَمْواتِنا وأَمْواتِ المُسْلِمينَ ، فَقُلْتُ لَهُ : ما نَقْرَأُهُ يَصِلُ إِلَيْكُمْ ؟ فَقالَ : نَعَمْ ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ فِيهِ ، كَأَنَّهُ أَشارَ إِلَى اسْتِحْبابِ التَّرْتِيلِ والتَّثَبُّتِ فِي القِراءَةِ .

قالَ الحافِظُ عَبْدُ الغَنِي حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحابِنا مِنْ أَهْلِ الفِقْهِ والعِلْمِ ، قالَ : ماتَتْ أُمِّي ، وكانَتْ صَوَّامَةً قَوَّامَةً ، وكُنْتُ أَقْرَأُ كُلَّ لَيْلَةٍ أَلْفَ مَرَّةٍ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وأَقُولُ :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ قَبُولَ ما قَرَأْتُهُ ، وأَنْ تَجْعَلَ ثَوابَهُ هَدِيَّةً مِنِّي لأُمِّي ، فَأَقَمْتُ عَلَى ذَلِكَ خَمْسَ سِنِينَ ، وكُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ أَراها ، فَقَرَأْتُ لَيْلَةً خَمْسَمِائَةِ مَرَّةً ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وأَهْدَيْتُ ثَوابَها لَها ، فَرَأَيْتُها فِي مَنامِي وَعَلَيْها ثِيابٌ جُدُدٌ ، وهِيَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، فَقُلْتُ لَها : سَلامٌ عَلَيْكِ يا أُمَّاه ، ماذا لَقِيتِ مِنَ اللّه ؟ قالَتْ : كُلَّ خَيْرٍ ، جَزاكَ اللّهُ عَنِّي خَيْراً يا وَلَدِي ، واللّهِ يا وَلَدِي لَقَدْ وَصَلَتْ إِلَيَّ هَدِيَّتُكَ ، بِاللّهِ يا بُنَيَّ : لا تَسْمَعْ مِنْ هَؤُلاءِ الَّذينَ يَقُولُونَ لا تَصِلُ الهَدِيَّةُ إِلَى الأَمْواتِ ، واللّهِ لَقَدْ وَصَلَتْ ، وخَفَّفَ عَنِّي بِها شَيْئاً كَثِيراً ، فَباللّهِ يا بُنَيَّ ،

إِنْ لَمْ يَكُنِ الكَثِيرُ فَلْيَكُنِ القَلِيلُ ، ولا تَقْطَعْ عَنِّي هَدِيَّتَكَ .

ورَوَى مُبَشِّرُ بنُ إِسْماعِيلَ [١] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ابنِ العَلاءِ [٢] أَنَّهُ أَوْصَى إِذا دُفِنَ أَنْ يُقْرَأَ عِنْدَ رَأْسِهِ بِفاتِحَةِ البَقَرَةِ وخاتِمَتِها ، وقالَ : سَمِعْتُ أَبِي ، قالَ : سَمِعْتُ ابنَ عُمَرَ يُوصِي بِذَلِكَ .

● الدُّعاءُ لِلمَزُورِ ، لأَنَّ الدُّعاءَ تُحْفَةُ المَيِّتِ مِنْ زائِرِيهِ ؛ فَإِذا جُزْتَ عَلَى المَقابِرِ ، فَلا

---

(١) هُوَ مُبَشِّرُ بنُ إِسْماعِيلَ الكَلْبِي ، أَبو إِسْماعِيل ، مِنْ أَهْلِ حَلَب ، عالِمٌ مَشْهُور ، صَدوق ، سَمِعَ الأَوْزاعِي ، وخَرَّجَ لَهُ البُخاري مقروناً بآخَر ، ووَثَّقَهُ ابنُ حِبَّان وابنُ سَعْد ، ومات بِحَلَب سَنَةَ ٢٠٠ هـ .

(٢) هُوَ عَبدُ الرَّحمٰن بنُ العَلاءِ بنِ اللَّجْلاج ، شامِيُّ الأَصْل ، رَوَى عَنْ أَبيهِ .

تَبْخَلْ بِقِراءَةِ ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ ، فَإِنَّها صَدَقَةٌ سَهْلَةٌ .

قالَ العُلَماءُ : هَدايا الأَحْياءِ لِلأَمْواتِ الدُّعاءُ والاسْتِغْفارُ .

قالَ بَشَّارُ بنُ غالِبٍ النَّجْرانِي : رَأَيْتُ رابِعَةَ العَدَوِيَّةَ فِي النَّوْمِ ، وكُنْتُ كَثِيرَ الدُّعاءِ لَها ، فَقالَتْ : يا بَشَّارُ ، رَأَيْتُ هَداياكَ تَأْتِينا عَلَى أَطْباقٍ مِنْ نُورٍ ، مُخَمَّرَةٍ[1] بِمَنادِيلِ الحَرِيرِ !! قُلْتُ : وكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قالَتْ : هَكَذا دُعاءُ المُؤْمِنِينَ الأَحْياءِ ، إِذا دَعَوْا لِلمَوْتَى يُؤْتَى بِهِ إِلَى المَيِّتِ عَلَى أَطْباقٍ مِنْ نُورٍ ، مُخَمَّرَةٍ بِمَنادِيلِ الحَرِيرِ

---

(١) مُخَمَّرَة : أَي مَلْفُوفَةٌ ومُسْتَتِرَة .

فَيُقالُ لَهُ : هَذِهِ هَدِيَّةُ فُلان .

قالَ بِشْرُ بنُ مَنْصُور : لَمَّا كانَ زَمَنُ الطَّاعُونِ كانَ رَجُلٌ يَخْتَلِفُ إِلَى الجَبَّانَةِ فَيَشْهَدُ الجَنائِزَ فَيُصَلِّي عَلَيْهِمْ ، وإِذا أَمْسَى وَقَفَ عَلَى المَقابِرِ فَقالَ : (آنَسَ اللّهُ وَحْشَتَكُمْ ، ورَحِمَ غُرْبَتَكُمْ ، وتَجاوَزَ عَنْ سَيِّئاتِكُمْ ، وقَبِلَ حَسَناتِكُمْ) ، لا يَزِيدُ عَلَى هَذِهِ الكَلِمات ، قالَ الرَّجُلُ : فَأَمْسَيْتُ ذاتَ لَيْلَةٍ فَانْصَرَفْتُ إِلَى أَهْلِي ولَمْ آتِ المَقابِرَ فَأَدْعُو بِما كُنْتُ أَدْعُو بِهِ ، فَبَيْنَما أَنا نائِمٌ إِذا بِخَلْقٍ كَثِيرٍ قَدْ جاءُونِي ، فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ وما حاجَتُكُمْ ؟ قالوا : إِنَّكَ كُنْتَ تَدْعُو فِي كُلِّ يَوْمٍ عِنْدَ انْصِرافِكَ إِلَى أَهْلِكَ بِدَعَواتٍ دَعَوْتَ لَنا

بِها ، قُلْتُ : فَإِنِّي أَعُودُ ، فَما تَرَكْتُهُنَّ بَعْدُ .

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ العَلاءِ عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ قالَ لِوَلَدِهِ : إذا أَنا مِتُّ وأَدْخَلْتُمُونِي فِي اللَّحْدِ فَهِيلُوا عَلَيَّ التُّرَابَ ، واقْرَأُوا عِنْدَ رَأْسِي بِفاتِحَةِ الكِتابِ ، وفاتِحَةِ البَقَرَةِ : ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (١) ، وخاتِمَةِ البَقَرَةِ :

---

(١) سُورَةُ البَقَرَة : الآيات ١ ـ ٥ .

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن
تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم
بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ
بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ
أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ
رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا
وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا
لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا
تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ

وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [1] ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ ابنَ عُمَرَ رضي الله عنهما يَسْتَحِبُّ ذَلِكَ [2].

وقالَ الشَّعْبِي[3]: سُنَّةٌ كانَتْ فِي الأَنْصارِ ، إذا ماتَ المَيِّتُ لَمْ يُدْفَنْ حَتَّى يُقْرَأَ عِنْدَ رَأْسِهِ سُورَةُ ﴿ٱلۡبَقَرَةِ﴾ ، وبَعْدَ هَذا فَكُلُّ ما يَفْعَلُهُ الإِنْسانُ مِنْ أَنْواعِ البِرِّ والخَيْرِ يَصِلُ إِلَيْهِمْ ؛ قالَ اللّهُ تَعالَى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا

---

(١) سُورَةُ البَقَرَة : الآيات ٢٨٤ ـ ٢٨٦ .

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَراني .

(٣) هُو عامِرُ بنُ شَراحِيل ، الشَّعْبِي ، الحِمْيَرِي ، مِنَ التَّابِعينَ ومِنْ رِجالِ الحَدِيثِ الثِّقات .

ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[1]، وقَوْلُهُ تَعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[2]؛ فَلَوْ لَمْ تَكُنِ الصَّلاةُ والدُّعاءُ يَصِلانِ إِلَيْهِمْ، وكَذَلِكَ الاسْتِغْفارُ، لَمْ يُخْبِرِ اللّٰهُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ، فَكَذَلِكَ الصَّدَقَةُ وقِراءَةُ القُرْآنِ والدُّعاءُ، يَنْفَعُهُمْ ويَصِلُ إِلَيْهِمْ، وقَدْ صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ وهُوَ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ وجَماعَةٌ

---

(١) سُورَةُ الحَشْر: مِنَ الآيَة ١٠.

(٢) سُورَةُ غافِر: الآيَة ٧.

مِنَ الصَّحابَةِ ﷺ عَلَى النَّجاشِيِّ عِنْدَما ماتَ ﷺ بالحَبَشَةِ ، وكَذَلِكَ صَلَّى رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَلَى خُبَيْبِ بنِ عَدِيٍّ ﷺ حِينَ صُلِبَ بمَكَّةَ ، والنَّبِيُّ ﷺ بالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ ، والأَدِلَّةُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى .

وعَنْ إِبْراهِيمَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ سَلامَةَ المُوصِلِي ، قالَ : سَمِعْتُ بَعْضَ الصَّالِحينَ مِنْ مَشايخِ الرَّحْبَةِ يَقُولُ : إِنَّهُ رَأَى فِي مَنامِهِ كَأَنَّهُ اجْتازَ بمَقْبَرَةِ الرَّحْبَةِ ، فَرَأَى أَهْلَ المَقْبَرَةِ جُلُوساً فِي أَكْفانِهِمْ وعَلَيْهِمُ النُّورُ والبَهاءُ ، وهُمْ يَتَشاجَرونَ وقَدِ ارْتَفَعَتْ أَصْواتُهُمْ كَأَنَّهُمْ يَقْتَسِمُونَ شَيْئاً فَسَأَلْتُهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، فَقالُوا : اجْتازَ بِنا بِالأَمْسِ

فُلانٌ (وسَمَّاهُ لِي ؛ رَجُلٌ مِنَ الصَّالِحينَ مِنْ أَهْلِ الرَّحْبَةِ) فَعَثَرَ فِي رِجْلِهِ ، فانْقَطَعَ ظُفْرُ أُصْبُعِهِ الإِبْهام ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ، ووَجَدَ لِذَلِكَ أَلَماً شَدِيداً ، فَقالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كانَ فِي هَذِهِ العَثْرَةِ وهَذا الأَلَم ثَوابٌ فَقَدْ أَهْدَيْتُهُ لأَهْلِ هَذِهِ المَقْبَرَةِ ، فَكُلُّنا مِنْ أَمْس نَقْتَسِمُ ثَوابَ ذَلِكَ وما فَنِيَ ، قالَ : فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتَيْتُ إِلَى دُكَّانِهِ فِي السُّوق ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وسَأَلْتُهُ أَنْ يُرِيَنِي رِجْلَهُ ، فَأَبَى وقالَ : رِجْلِي مِثْلُ أَرْجُلِ النَّاسِ ، ما عَلَيْكَ مِنْها ؟! فَقُلْتُ : لِي فِيها غَرَضٌ ، فَكَشَفَ لِي عَنْ رِجْلِهِ الصَّحِيحَةِ ، فَقُلْتُ : أُرِيدُ أَنْ تَكْشِفَ لِي عَنِ الأُخْرَى ، فَأَبَى ، فَأَقْسَمْتُ

عَلَيْهِ حَتَّى كَشَفَها لِي ، وأُصْبُعُهُ الإبْهامُ مَشْدُودَةٌ بِخِرْقَةٍ ، فَقُلْتُ : هَذا قَصْدِي ، فَسَأَلَنِي عَنْ ذَلِكَ ، فَحَدَّثْتُهُ بِما رَأَيْتُ فِي مَنامِي ، فَأَقْسَمَ عَلَيَّ أَلَّا أُحَدِّثَ بِذَلِكَ فِي حَياتِهِ .

ويَشْهَدُ لِصِحَّةِ هَذِهِ الرُّؤْيا ، ما رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ : (يُثابُ المُؤْمِنُ حَتَّى بِالشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ ، وبِالعَثْرَةِ يَعْثُرُها) [1].

وحَدَّثَ بَعْضُ شُيُوخِ الحَرَمِ أَنَّهُ زارَ المَقْبَرَةَ الَّتي بِأُمِّ القُرَى[2] ، وقَرَأَ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً ، ثُمَّ أَهْدَى إِلَيْهِم ثَوَابَها ،

---

(١) إحياءُ عُلوم الدين للغَزالي .

(٢) أُمُّ القُرَى : مَكَّة المُكَرَّمَة .

ثُمَّ إِنَّهُ رَأَى حَفَّارِينَ قَبْراً ، فَسَأَلَهُمْ عَنِ القَبْرِ لِمَنْ هُوَ ؟ قالُوا : لِرَجُلٍ غَرِيبٍ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَقِفُ حَتَّى يَأْتُوا بِالجَنازَةِ وأُصَلِّي عَلَيْها ، وأَغْتَنِمُ الأَجْرَ والثَّوابَ فِي ذَلِكَ ، لِما رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ : (مَنْ صَلَّى عَلَى جَنازَةٍ كُتِبَ لَهُ قِيراطٌ مِنَ الأَجْرِ ، فَإِنْ تَبِعَها كُتِبَ لَهُ قِيراطان ...)[1] الحَدِيث .

فاسْتَنَدْتُ إِلَى قَبْرٍ مِنْ تِلْكَ القُبُورِ ، فَنِمْتُ ، فَرَأَيْتُ أَهْلَ المَقْبَرَةِ جُلُوساً وهُمْ يَتَشاجَرونَ فِيما بَيْنَهُمْ ، ورَأَيْتُ صاحِبَ ذَلِكَ القَبْرِ الَّذي

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِي ، ومُسْلِمٌ ، والنَّسائِي ، والدَّارِمِي ، وابنُ ماجَه ، وابنُ حَنْبَل ﷺ .

كُنْتُ مُسْتَنِداً إِلَيْهِ شَيْخاً عَلَى وَجْهِهِ نُورٌ وهُوَ يُكَلِّمُنِي ويَقُولُ : يا أَخِي ، تَتَّكِئُ عَلَى القَبْرِ وقَدْ قالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : (لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ جَلَسَ عَلَى جَمْرَةٍ فَتَحْرِقُ ثَوْبَهُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى جِلْدِهِ لَكانَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَطَأَ قَبْرَ مُسْلِمٍ)[1]، فَقُلْتُ : اجْعَلْنِي فِي حِلٍّ ، قالَ : أَنْتَ فِي حِلٍّ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ مُشاجَرَةِ أَهْلِ المَقْبَرَةِ ، فَقالَ : إِنَّهُمْ يَقْتَسِمُونَ ثَوابَ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الَّتي قَرَأْتَها ، فَقُلْتُ : وكَمْ أَصابَ كُلَّ واحِدٍ مِنْ ثَوابِها ؟ فَقالَ : خَيْرٌ كَثِيرٌ ، فَقُلْتُ : ما الَّذي أَصابَكَ ؟ فَقالَ : أَنا آثَرْتُهُمْ بِحِصَّتِي ،

(١) طَبقاتُ الشَّافِعِيَّةِ الكُبْرى : تاجُ الدِّين السُّبْكِي .

لأَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ أَحَدٌ يُهْدِي إِلَيْهِمْ ، وأَنا لِي وَلَدٌ صالِحٌ خَيَّاطٌ بِبابِ النَّدْوَةِ يَتَصَدَّقُ عَنِّي كُلَّ يَوْمٍ بِدانَقَيْنِ ، ويُهْدِي إِلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَنامَ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَقُلْتُ : وما اسْمُهُ ؟ قالَ : مُحَمَّد ، فَقُلْتُ لَهُ : أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُبَشِّرَهُ ؟ قالَ : إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَلَكَ عَلَيَّ مِنَّةٌ كَبِيرَةٌ ، سَلِّمْ عَلَيْهِ وقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ أَبُوكَ : يا وَلَدِي لِمَ تَرَكْتَنِي اللَّيْلَةَ أَوَّلَ اللَّيْلِ ؟ ولَكِنْ لَمَّا انْتَبَهْتَ وقَرَأْتَ وبَكَيْتَ وأَهْدَيْتَ ، وَصَلَ إِلَيَّ ، فَجَزاكَ اللّٰهُ خَيْراً ، ورَضِيَ اللّٰهُ عَنْكَ بِرِضايَ قالَ : فَمَضَيْتُ إِلَيْهِ ، وعَرَّفْتُهُ الحالَ ، فَقالَ لِي : مَنْ أَنْتَ ؟ إِنَّ والِدِي لَهُ مُنْذُ ماتَ عِشْرونَ

سَنَةً ! فَحَدَّثْتُهُ بِما رَأَيْتُ ، وقُلْتُ : السَّاعَةَ جِئْتُ مِنْ عِنْدِهِ ، فَقالَ : صَدَقْتَ ، كَذا كانَ ، وفَرِحَ بِذَلِكَ .

وقَدْ حُكِيَ [1] أَنَّ قافِلَةً مَرَّتْ بِمَقْبَرَةٍ فِي اللَّيْلِ ، فَأَخْرَجَ رَجُلٌ رَأْسَهُ مِنَ المَحْمَلِ وقَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً ، وأَهْداها لأَهْلِ المَقْبَرَةِ ، فَنامَ فَرَأَى رَجُلاً وهُوَ يَقُولُ لَهُ : جَزاكَ اللّٰهُ خَيْراً ؛ كُنْتُ فِي أَشَدِّ العَذابِ ، فَلَمَّا أَهْدَيْتَ لَنا هَذِهِ الهَدِيَّةَ نابَنِي مِنْها ثَوابُ بَعْضِ حُروفٍ ، فَتَجَوْتُ .

---

(١) كِتاب (مُرْشِد الزُّوَّار إِلَى قُبُورِ الأَبْرار) : مُوَفَّقُ الدِّين ابنُ عُثْمان .

وقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَجُلاً كانَ يَخُصُّ ابْنَهُ بالهَدِيَّةِ ، فَجاءَ يَوْماً إِلَى قَبْرِهِ وقَرَأَ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وقالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ ثَوابَها لِوَلَدِي ، فَنامَ فَرَأَى فِي النَّوْمِ رَجُلاً مِنْ جِيرانِ وَلَدِهِ وهُوَ يَقُولُ : كَأَنَّكَ بَخِلْتَ عَلَيْنا ، لَقَدْ نَزَلَ ثَوابُها فَعَمَّنا لَمَّا قَرَأْتَها .

قالَ الإِمامُ الشَّافِعِيُّ رضي الله عنه فِي (الأُمّ)[1]: يَلْحَقُ المَيِّتَ مِنْ فِعْلِ غَيْرِهِ الحَجُّ إِذا أَدَّاهُ عَنْهُ ، والدَّيْنُ إِذا قَضاهُ عَنْهُ ، والدُّعاءُ إِذا دَعا لَهُ . فَإِذا تَصَدَّقَ الإِنْسانُ عَنْ مَيِّتِهِ جاءَ مَلَكٌ مِنَ

---

(١) كِتابُ (الأُم) أَشْبَهُ بمَوْسُوعَةٍ فِي أَبواب الفِقْه الشَّافِعي ، جَمَعَهُ البُويطِي (أَحَدُ تَلامِذَة الشافعي) في سبعة مُجَلَّدات ، وبَوَّبَهُ الربيع بنُ سليمان وهو مِنْ تَلامِذَةِ الإمام أيضاً .

المَلائِكَةِ بِطَبَقٍ مِنْ نُورٍ ، والهَدِيَّةُ عَلَى ذَلِكَ الطَّبَقِ ، ولَها نُورٌ ساطِعٌ فِي سَبْعِ سَمَواتٍ ، فَيَقُومُ عَلَى شَفِيرِ القَبْرِ ويُنادِي : عَلَيْكَ السَّلامُ يا صاحِبَ هَذا القَبْرِ الغَرِيبِ ، إنَّ أَهْلَكَ أَهْدَوْا إلَيْكَ هَذِهِ الهدِيَّةَ ، فاقْبَلْها ، فَيُدْخِلُها فِي قَبْرِهِ ، فَيُنَوَّرُ لَهُ قَبْرُهُ ، ويُوَسَّعُ عَلَيْهِ .

● أَمَّا زِيارَةُ الوالِدَيْنِ فَإنَّها سَعادَةُ الدَّارَيْنِ : وَرَدَ فِي الأَثَرِ أَنَّهُ : (مَنْ قالَ : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1] ، وقالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ ثَوابَ

---

(١) سُورَةُ الجاثِيَة : الآيَتان ٣٦ ، ٣٧ .

هاتَيْنِ الآيَتَيْنِ لأَبَوَيَّ ، فَقَدْ أَدَّى حَقَّهُما) .

قالَ عُثْمانُ بنُ سَوْدَةَ ، وكانَتْ أُمُّهُ مِنَ العابِدات ، يُقالُ لَها (راهِبَة) لِكَثْرَةِ عِبادَتِها : لَمَّا احْتُضِرَتْ رَفَعَتْ رَأْسَها إِلَى السَّماءِ ، وقالَتْ : يا ذُخْري وذَخِيرَتِي ، لا تَفْضَحْنِي عِنْدَ المَوْتِ ، ولا تُوحِشْنِي فِي قَبْرِي ، فَكُنْتُ آتِي قَبْرَها فَأَقْرَأُ كُلَّ لَيْلَةِ جُمُعَةٍ وأَسْتَغْفِرُ لَها ، فَرَأَيْتُها لَيْلَةً فِي مَنامِي ، فَقُلْتُ : يا أُمَّاهُ ، كَيْفَ أَنْتِ ؟ قالَتْ : يا بُنَيَّ أَنا بِحَمْدِ اللّهِ فِي بَرْزَخٍ مَحْمُودٍ ، نَتَوَسَّدُ فِيهِ الرَّيْحانَ والسُّنْدُسَ ، فَقُلْتُ : أَلَكِ حاجَةٌ ؟ قالَتْ : نَعَمْ ، لا تَدَعْ زِيارَتَنا والدُّعاءَ لَنا ، فَإِنِّي آنَسُ بِمَجِيئِكَ إِذا

أَقْبَلْتَ ، فَيُقالُ لِي : هَذا ابْنُكِ قَدْ أَقْبَلَ ، فَأُسَرُّ ويُسَرُّ مَنْ حَوْلِي مِنَ الأَمْوات .

وقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قالَ :

زُرْ وَالِدَيْكَ وقِفْ عَلَى قَبْرَيْهِما
فَكَأَنَّنِي بِكَ قَدْ نُقِلْتَ إِلَيْهِما
بُشْراكَ لَوْ قَدَّمْتَ فِعْلاً صالِحاً
وقَضَيْتَ بَعْضَ الْحَقِّ مِنْ حَقَّيْهِما
وقَرَأْتَ مِنْ آيِ الْكِتابِ بِقَدْرِ ما
قَدْ تَسْتَطِعْ وبَعَثْتَ ذاكَ إِلَيْهِما
لَوْ كُنْتَ حَيْثُ هُما وكانا فِي الْبَقا
زاراكَ حَبْواً لا عَلَى قَدَمَيْهِما

ما كانَ ذَنْبُهُما إلَيْكَ فَطالَما

مَنَحاكَ صَفْوَ الْوُدِّ مِنْ نَفْسَيْهِما

كانا إذا ما أَبْصَرا بِكَ عِلَّةً

جَزِعا لِما تَشْكُو وشَقَّ عَلَيْهِما

كانا إذا سَمِعا أَنِينَكَ سَيَّلا

دَمْعَيْهِما أَسَفاً عَلَى خَدَّيْهِما

فَلَتَلْحَقَنَّهُما غَداً أَوْ بَعْدَهُ

حَتْماً كَما لَحِقاهُما أَبَوَيْهِما

ولَتَقْدُمَنَّ عَلَى فِعالِكَ مِثْلَما

قَدِما هُما أَيْضاً عَلَى فِعْلَيْهِما

فَاحْفَظْ حُفِظْتَ وَصِيَّتِي واعْمَلْ بِها

فَعَسَى تَنالُ الْفَوْزَ مِنْ بِرَّيْهِما

● وعَلَى الزُّوَّارِ مُراعاةُ الخُشُوعِ والاسْتِحْضارِ والتَّدَبُّرِ والاعْتِبارِ ، والإكْثارُ مِنْ تِلاوَةِ ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ ، ومِنَ الدُّعاءِ ، فَيَنْبَغِي إذا عَزَمْتَ عَلَى الزِّيارَةِ أَنْ تَبْتَدِئَ بِرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الوُضُوءِ ، ثُمَّ تَقُولُ : (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ ، واعْزِمْ بِي عَلَى خَيْرٍ عَزَمْتَ فِيهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبادِكَ الَّذينَ دَعَوْتَهُمْ فَأَجابُوكَ وأَمَرْتَهُمْ فَأَطاعُوكَ ، وعَمِلُوا عَمَلاً صالِحاً، ولَمْ يُشْرِكُوا بِعِبادَتِكَ أَحَداً ، اللَّهُمَّ مَنْ تَأَهَّبَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ فَأَخَذَ زِينَتَهُ ، وأَظْهَرَ لِبْسَتَهُ[1] لِقَصْدِ أَحَدٍ مِنْ عِبادِكَ ،

---

(١) أَي ما يُلْبَسُ .

فَإِنِّي خارِجٌ إِلَيْكَ ، ووافِدٌ عَلَيْكَ ، وطالِبٌ ما لَدَيْكَ ، لَمْ أَخْرُجْ أَشَرًا [1]، ولا بَطَرًا ، ولا رِياءً ، ولا سُمْعَةً ، وإِنَّما خَرَجْتُ زائِراً لِمَنْ أَحْبَبْتُهُ فِيكَ ، وأَحْسَنْتُ الظَّنَّ بِهِ لِما عَلِمْتُهُ مِنْ تَوْحِيدِهِ لَكَ ، اللَّهُمَّ فَعَرِّفْنِي بَرَكَةَ هَذا المَخْرَجِ ، ويَسِّرْ لِي نُجْحَ هَذا المَقْصِدِ، وشَفِّعْ فِيَّ عِبادَكَ الصَّالِحِينَ ، واجْعَلْنِي مُحْسِناً فَإِنَّكَ مَعَ المُحْسِنِينَ ، وصَلَّى اللّٰهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ، إِمامِ الأَتْقِياءِ ، وشافِعِ الشُّفَعاءِ ، وعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ، وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ) ، ثُمَّ تَأْخُذُ فِي طَرِيقٍ ، وتَحْرِصُ عَلَى أَلَّا يَجِفَّ

---

(١) الأَشَرُ : المُتَكَبِّرُ ، والبَطَرُ : التَّبَخْتُر .

لِسانُكَ مِنْ تِلاوَةِ كِتابِ اللّهِ، فَإِنْ عاقَكَ عائِقٌ عَنِ التِّلاوَةِ (مِنْ رَفِيقٍ يَشْغَلُكَ ، أَوْ مِنْ تَقْصِيرٍ فِي حِفْظِ ما تَحْفَظُهُ) فَأَكْثِرْ مِنَ التَّسْبِيحِ والتَّحْمِيدِ والتَّهْلِيلِ ، ولَوْ فِي أَثْناءِ كَلامِ مُسايِريكَ ، واجْعَلْ ذَلِكَ عادَةً لِلِسانِكَ واعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّما تَهْدِمُ سَيِّئَةً وتَبْنِي حَسَنَةً ، فَلا تُقَصِّرْ ، وعَلَيْكَ بِالاسْتِغْفارِ والتَّحْمِيدِ ؛ فَإِنَّ العَبْدَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ : بَيْنَ ذَنْبٍ يَسْتَغْفِرُ اللّهَ مِنْهُ ، وبَيْنَ نِعْمَةٍ يَحْمَدُ اللّهَ عَلَيْها ، وكُلَّما دَخَلْتَ الجَبَّانَةَ فَعَلَيْكَ بِدُعاءِ اسْتِغْفارِ الجَوامِعِ : (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ولِوالِدَيَّ ولِوَالِدِيهِمْ ولِمَنْ وَلَدُوا ، ولِمَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيَّ وعَلَيْهِمْ ،

ولِجَميعِ المُسْلِمينَ والمُسْلِماتِ ، الأَحْياءِ مِنْهُمْ والأَمْواتِ ، إنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَواتِ ، اللَّهُمَّ افْعَلْ بِي وبِهِمْ عاجِلاً وآجِلاً فِي الدِّينِ والدُّنْيا والآخِرَةِ ما أَنْتَ أَهْلُهُ ، ولا تَفْعَلْ بِنا يا مَوْلانا ما نَحْنُ أَهْلُهُ ، فَإِنَّكَ غَفُورٌ حَلِيمٌ جَوادٌ كَرِيمٌ رَؤُوفٌ رَحِيم) .

● ويَنْبَغِي لِلزَّائِرِ أَنْ يَدْعُوَ لِنَفْسِهِ عِنْدَ قُبُورِ المُسْلِمينَ ، فَإِنَّهُ أَرْجَى للإِجابَةِ ؛ فَقَدْ أُمِرْنا بِالدُّعاءِ عِنْدَ رِقَّةِ القَلْبِ ، وهاهُنا يَرِقُّ القَلْبُ غالِباً ، ومِنْ أَبْلَغِ الأَدْعِيَةِ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِما سَأَلَكَ نَبِيُّنا وحَبِيبُنا سَيِّدُنا مُحَمَّدٌ ﷺ وأَعُوذُ بِكَ مِمَّا اسْتَعاذَ مِنْهُ نَبِيُّنا وحَبِيبُنا

سَيِّدُنا مُحَمَّدٌ ﷺ ، وأَسْأَلُكَ العَفْوَ والعافِيَةَ ، فَعافِنِي واعْفُ عَنِّي ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فاعْفُ عَنِّي ، واخْتِم اللَّهُمَّ لِي بِالحُسْنَى بِجاهِ صاحِبِ المَقامِ الأَسْنَى ﷺ ، وبَلِّغْنِي دارَ الأَمانِ والسَّلامِ بِسَلام) .

ذِكْرُ مَواعِظَ مِنْ حِكْمَةِ الشِّعْر

فِي لَحَظاتِ صِدْقٍ مُعْتَبِرٍ عِنْدَ القَبْر

وُجِدَ مَكْتُوباً عَلَى قَبْرٍ :

يا أَيُّها النَّاسُ كانَ لِي أَمَلٌ

قَصَّرَ بِي عَنْ بُلُوغِهِ الْأَجَلُ

فَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ رَجُلٌ

أَمْكَنَهُ فِي حَياتِهِ الْعَمَلُ

ما أَنا وَحْدِي نُقِلْتُ حَيْثُ تَرَى

كُلٌّ إِلَى مِثْلِهِ سَيَنْتَقِلُ

ووُجِدَ عَلَى قَبْرٍ مَكْتُوباً :

يَمُرُّ أَقارِبي بِجَنابِ قَبْرِي

كَأَنَّ أَقارِبِي لَمْ يَعْرِفُونِي

ذَوُو الْمِيراثِ يَقْتَسِمُونَ مالِي

وما يَألُونَ أَلَّا يَذْكُرُونِي

وقَدْ أَخَذُوا سِهَامَهُمُ وعاشُوا

فَيالِلّهِ أَسْرَعُ ما نَسُونِي

ووُجِدَ أَيْضاً عَلَى قَبْرِ بَعْضِ الكِرام :

النَّاسُ لِلْمَوْتِ كَخَيْلِ الطِّرادْ

فالسَّابِقُ السَّابِقُ مِنْها الْجِيادْ[1]

و اللّهُ لا يَدْعُو إِلَى دارِهِ

إلا مَنِ اسْتَصْلَحَ مِنْ ذِي الْعِبادْ

الْعُمْرُ كالظِّلِّ ولا بُدَّ أَنْ

يَزُولَ ذَاكَ الظِّلُّ بَعْدَ امْتِدادْ

---

(١) خَيْلُ الطِّراد : هِيَ الَّتي تُتَّخَذُ لِلصَّيْدِ والمُطارَدَة .

والْـمَـوْتُ نَـقَّـادٌ عَـلَى كَـفِّهِ
جَواهِـرٌ يَخْـتارُ مِـنْها الْجِـيادْ
أَرْغَـمْتَ يا مَـوْتُ أُنُوفَ الْوَرَى
كَـأَنَّـما فِـي كُـلِّ قَـلْـبٍ رَمـادْ
طَـرَقْتَ يا مَـوْتُ كَـريـماً فَـلَمْ
يَقْنَعْ بِغَيْرِ النَّفْسِ لِلضَّيْفِ زادْ
قَصَـفْتَهُ مِنْ سِـدْرَةِ الْمُـنْتَهَى
غُصْـناً ، فَشُلَّتْ يَدُ أَهْلِ الْعِنادْ

ووُجِدَ عَلَى قَبْرٍ :

ذَهَـبَ الَّـذينَ تَكَـمَّلُوا آجـالَـهُـمْ
ومَضَـوْا ، وحَـانَ لآخَـريـنَ وُرُودُ
يَمْضِي الصَّغِيرُ إذا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ
إِثْـرَ الكَبِـيرِ ، ويُـولَـدُ الْـمَـوْلُـودُ

والنَّاسُ فِي قَسْمِ الْمَنِيَّةِ بَيْنَهُمْ

كَالزَّرْعِ ، مِنْهُ قائِمٌ وحَصِيدُ

ووُجِدَ عَلَى قَبْرِ غَيْرِهِ :

لا بُدَّ مِنْ فَقْدٍ ومِنْ فاقِدِ

هَيْهاتَ ما فِي النَّاسِ مِنْ خالِدِ

كُنِ المُعَزِّي لا المُعَزَّى بِهِ

إنْ كانَ لا بُدَّ مِنَ الْواحِدِ

وقالَ ابنُ المُعْتَزِّ (١) :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ يَوْمٌ ولَيْلَةٌ

يَكُرَّانِ مِنْ سَبْتٍ عَلَيْكَ إِلَى سَبْتِ

---

(١) هُوَ عبدُ الله بنُ مُحَمَّدٍ المُعْتَزِّ بالله ، ابن المُتَوَكِّل ، ابن المُعْتَصِم ، ابن الرَّشِيد العبَّاسِي ، أُولِعَ بالأدَب ، ومات بِبَغْداد سَنَة ٢٩٤هـ ، بَعْدَ أَنْ مَكَثَ فِي الخِلافَةِ يَوْماً ولَيْلَةً .

فَقُلْ لِجَدِيدِ الْعَيْشِ لا بُدَّ مِنْ بِلىً

وقُلْ لاجتِماعِ الشَّمْلِ لا بُدَّ مِنْ شَتٍّ[1]

ووُجِدَ عَلَى قَبْرٍ مَكْتُوباً :

حَمَلُوهُ عَلَى الرِّقابِ ابْتِدارَا

ثُمَّ وَارُوهُ فِي التُّرابِ دَفِينا

أَيُّ نَجْمٍ هَوَى أَصابَ بِهِ الدَّهْرُ

قُلُوباً مَنْكُوبَةً وعُيُونا

كَمْ رَأَيْناهُ مُعْطِياً ومُنِيلاً

ثُمَّ أَضْحَى مِنْ بَعْدِ ذاكَ رَهِينا

وعَلَى آخَرَ مَكْتُوبٌ :

تُناجِيكَ أَجْداثٌ وهُنَّ سُكُوتُ

وسُكَّانُها تَحْتَ التُّرابِ خُفُوتُ

---

(١) الشَّتُّ : التَّفَرُّق .

أَيا جامِعَ الدُّنْيا لِغَيْرِ بَلاغَةٍ

لِمَنْ تَجْمَعُ الدُّنْيا وَأَنْتَ تَمُوتُ

ووُجِدَ مَكْتُوباً عَلَى قَبْرِ فَقِيهٍ :

أَيا حُجَّةَ الإِسْلامِ مُذْ غِبْتَ بَغْتَةً

غَدَتْ لِلْأَعادِي حُجَّةٌ ومَناقِبُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ إِنْ غابَ ضَوْؤُها

تَلَأْلَأُ فِي جَوِّ السَّماءِ الْكَواكِبُ

ووُجِدَ عَلَى ضَرِيحِ سَيِّدِنا سَعْدِ بنِ عُبادَة [1] رضي الله عنه

---

(١) سَيِّدُنا سَعْدُ بنُ عُبادَةَ الخَزْرَجِي ، صَحابِيٌّ مِنْ أَهْلِ المَدينَةِ ، كانَ سَيِّدَ الخَزْرَج ، وأَحَدَ الأُمَراء الأَشْراف فِي الجاهِلِيةِ والإِسلام ، شَهِدَ العَقَبَةَ مَعَ السَّبْعِينَ مِنَ الأَنْصار، وشَهِدَ أُحُداً والخَنْدَقَ وغَيْرَهُما ، وكانَ أَحَدَ النُّقَباءِ الاثْنَى عَشَر ، وكانَتْ وَفاتُهُ سَنَةَ ١٤هـ ، وقَبْرُهُ بِالمَنِيحَة (قرية مِن غُوطَة دِمَشْق) وهُوَ مَشْهُورٌ ويُزار .

بِدِمَشْقَ الشَّام :

ولَمَّا أَتَيْنَا قَبْرَ سَعْدٍ نَزُورُهُ

عَرَفْناهُ لَمَّا فاحَ طِيبُ تُرابِهِ

سَقَى اللّهُ مِنْ مَاءِ الْجِنانِ تُرابَهُ

ونَجَّى بِهِ مَنْ زارَهُ مِنْ عَذابِهِ

ووُجِدَ عَلَى قَبْرٍ مَكْتُوباً :

وعُمْرِي كُلَّ يَوْمٍ فِي انْتِقاصٍ

وذاكَ النَّقْصُ لُقِّبَ بِازْدِيادِ

ولِي حَظٌّ ولِلْأَيَّام حَظٌّ

وبَيْنَهُما مُبايَنَةُ الْمِدادِ[1]

فَأَكْتُبُهُ سَواداً فِي بَياضٍ

وتَكْتُبُهُ بَياضاً فِي سَوادِ

---

(١) المُبايَنَة : الاخْتِلاف ، والمِداد : ما يُكْتَبُ بِهِ .

وكُتِبَ عَلَى قَبْرِ أَحْمَدَ بنِ طُولُون :

عَبَرْتُ عَلَى قَبْرِ ابنِ طُولُونَ مَرَّةً
فَأَنْكَرْتُ فِيما كانَ مِنْ عِظْمِ قَدْرِهِ
ولَـمْ أَرَ مِـمَّا كـانَ يَـمْـلِكُ كُـلَّهُ
تَـبَقَّى لَهُ شَـيْئاً سِوَى لَوْحِ قَـبْرِهِ
وما يَنْـفَعُ الإِنْـسانَ مِـمَّا يَحُـوزُهُ
إِذا فارَقَ الدُّنْيا سِوَى طِيبِ ذِكْرِهِ

ووُجِدَ عَلَى قَبْرٍ مَكْتُوباً :

وما الدَّهْـرُ والأَيَّـامُ إِلَّا كَما تَرَى
رَزِيَّــةُ مــالٍ أَوْ فِــراقُ حَـبِـيـبِ
وإِنَّ امْرَأً قَدْ جَرَّبَ الدَّهْرَ لَمْ يَخَفْ
تَـقَلُّبَ عَصْـرَيْـهِ لَغَـيْـرُ لَـبِـيبِ

وعَلَى آخَرَ مَكْتُوبٌ :

قَـبْـرٌ عَـزيـزٌ عَلَـيْنا ❁ لَـوْ أَنَّ ما فِيهِ يُهْدَى
أَسْكَـنْتُ قُـرَّةَ عَيْنِي ❁ ومُنْيَةَ النَّفْسِ لَحْدَا
ما جـارَ خَلْقٌ عَلَيْنا ❁ ولا الْقَضاءُ تَـعَدَّى
والْمَوْتُ أَحْسَنُ ثَوْبٍ ❁ بِـهِ الْفَـتَى يَـتَرَدَّى

وعَلَى آخَرَ مَكْتُوبٌ :

وقُلْتُ : أَخِي ، قالُوا : أَخٌ مِنْ قَرابَةٍ؟
فَقُلْتُ : نَعَمْ ، إِنَّ الشُّكُولَ أَقارِبُ[1]
نَسِيبِيَ فِي عِزِّي ورَأْيِي ومَنْصِبِي
وإِنْ باعَدَتْنا فِي الدِّيارِ الْمَناسِبُ[2]

---

(١) الشُّكُول : جَمْعُ شَكْل ، وهُوَ الشَّبيهُ والمَثِيلُ .
(٢) النَّسِيب : المُناسِب ، والمَناسِبُ : الأُصُولُ والأَحْساب .

وتَمَثَّلَ سَيِّدُنا عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ ﷺ ، وقَدْ دَفَنَ السَّيِّدَةَ فاطِمَةَ ﷺ وعَنَّا بها ، وصَلَّى وسَلَّمَ عَلَى أَبيها سَيِّدِ المُرْسَلِينَ ، وخاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وعِتْرَتِهِ أَجْمَعِين :

أَقُولُ وقَدْ فاضَتْ دُمُوعِي غَزِيرَةً
أَرَى الأَرْضَ تَبْقَى والأَخِلَّاءُ تَذْهَبُ
أَخِلَّايَ لَوْ غَيْرُ الْمَماتِ أَصابَكُمْ
جَزِعْتُ ،ولَكِنْ ما عَلَى الدَّهْرِ مَعْتَبُ

وقالَ أَيْضاً ﷺ وكَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ :

ذَكَرْتُ وما أَدْرِي فَبِتُّ كَأَنَّنِي
بِرَدِّ الأُمُورِ الْماضِياتِ وَكِيلُ
لِكُلِّ اجْتِماعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ
وكُلُّ الَّذي قَبْلَ الْفِراقِ قَلِيلُ

وإنَّ افْتِقادِي واحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ
دَلِيلٌ عَلَى أَلَّا يَدُومَ خَلِيلُ
أَرَى عِلَلَ الدُّنْيا عَلَيَّ كَثِيرَةً
وصاحِبُها بَعْدَ الْمَماتِ عَلِيلُ

وأَنْشَدَ عَبْدُ العَزِيزِ الدِّيرِينِي [1] عَلَى قَبْرِ ابْنَتِهِ حِينَ دَفَنَها :

أُحِبُّ بُنَيَّتِي وَوَدِدْتُ أَنِّي
دَفَنْتُ بُنَيَّتِي فِي قَعْرِ لَحْدِي

---

(١) هُوَ عَبْدُ العَزيز بنُ أَحمد الدِّيريني ، أَحَدُ مَشاهِير العُلماءِ والأَولياءِ ، وُلِدَ بِدِيرين ، وهِيَ بَلْدَةٌ واقِعَةٌ شَرْقِيَّ نَبروه بالمَنْصورة بِمِصْرَ ، وذَلِكَ سَنَةَ ٦١٢هـ ، وأَخَذَ العِلْمَ عَن العز بن عبد السلام وغيرِهِ ، ولَهُ كراماتٌ ومُصَنَّفاتٌ كَثيرة في الفقه والتفسير ، وكانَ الناس يَقْصِدونَهُ للتَّبَرُّكِ مِنْ سائِرِ الأَقْطار ، وكانَتْ وَفاتُهُ سَنَةَ ٦٩٧هـ ، وقَبْرُهُ بِدِيرين ظاهِرٌ يُزار .

وما بِي أَنْ تَـهُونَ عَـلَـيَّ لَـكِـنْ

مَخافَةَ أَنْ تَذُوقَ الْبُؤْسَ بَعْدِي

وقالَ آخَرُ :

يَـنالُ الرِّضـا عَـبْدٌ يُـقابِـلُ نِـعْـمَـةً

بِشُكْرٍ ، ويَلْقَى الصَّبْرَ فِي العُسْرِ ناصِرَهْ

ومَـنْ رَضِـيَ الرَّحْـمٰـنُ عَـنْـهُ فَـإِنَّـهُ

سَعِـيدٌ بِفَـضْـلِ اللّٰهِ دُنْـيـا وآخِـرَهْ

وقالَ آخَرُ :

لابُـدَّ لِـلْانْـسـانِ مِـنْ

فَـرَجٍ بِـأَفْـراحٍ وغَـمْ

ومِـنَ التَّـقَـلُّبِ لِلْفَـتَى

فِـي راحَـةٍ وفِـي سَـأَمْ

فَـإذا فَـرِحْـتَ بِـرَاحَـةٍ

فاشْـكُرْ لِـوَهَّـابِ النِّـعَـمْ

وافْزَعْ إِلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ

إِذا أَلَـمَّ بِـكَ الأَلَـمْ

وقالَ آخَرُ :

تَـلَقَّ الْأُمُـورَ بِصَبْرٍ جَمِيلٍ

وصَدْرٍ رَحِيبٍ وخَلِّ الْحَرَجْ

وسَـلِّمْ لِـرَبِّكَ فِـي حُكْـمِهِ

فَإِمَّـا الْمَماتُ وإِمَّا الْفَرَجْ

ونَضَّرَ اللّهُ وَجْهَ شَيْخِنا اللَّقَّانِي جَزاءَ قَوْلِهِ :

هَـذا وأَرْجُـو اللّهَ أَنْ يَمْنَحَنا

عِنْدَ السُّؤالِ مُطْلَقاً حُجَّتَنا

ثُمَّ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ الدَّائِمُ

عَلَى نَبِيٍّ دَأْبُهُ الْمَراحِمُ

مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَعِتْرَتِهْ

وَتابِعٍ لِنَهْجِهِ مِنْ أُمَّتِهْ

ونَضَّرَ اللّهُ وَجْهَ الشَّيْخ بَكْري رَجَب فِي قَوْلِهِ : وأَنا أَسْأَلُهُ ذَلِكَ إِنَّهُ عَلَى ما يَشاءُ قَدِير ، وبِعِبادِهِ لَطِيفٌ خَبِير .

خَتْمُ الأَعْمالِ بِالصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وعَلَى الآل ، سَبَبٌ لِلبَرَكَةِ والنَّوال ، مِنْ ذِي العِزَّةِ والجَلال ، وأَرْجَى لِلقَبُولِ والوِصال :

(اللهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلاةً تُنْجِينا بِها مِنْ جَمِيعِ الأَهْوالِ والآفات ، وتَقْضِي لَنا بِها جَمِيعَ الحاجات ، وتُطَهِّرُنا بِها مِنْ جَمِيعِ السَّيِّئات ، وتَرْفَعُنا بِها أَعْلَى الدَّرَجات ، وتُبَلِّغُنا بِها أَقْصَى الغاياتِ مِنْ جَمِيعِ الخَيْراتِ فِي الحَياةِ وبَعْدَ المَمات ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً إِلَى يَوْمِ الدِّين ، والحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العالَمِين) .

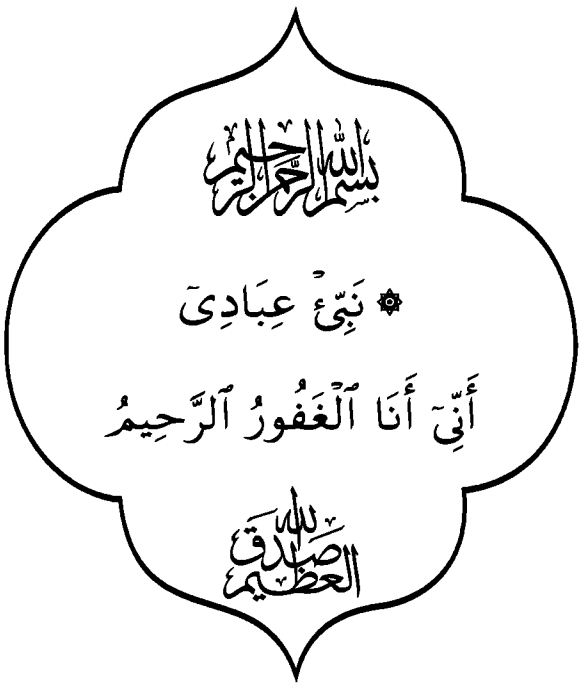
بسم الله الرحمن الرحيم
۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ
أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ
صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم
يَـٰعِبَادِ
لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ
وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ
صدق الله العظيم

يا ذُخْرِي وذَخِيرَتِي

لا تَفْضَحْنِي عِنْدَ المَوْتِ

ولا تُوحِشْنِي فِي قَبْرِي

اللهُمَّ اجْعَلِ التَّقْوَى زادِي

واجْعَلِ الجَنَّةَ مَآبِي

يا حَيُّ يا قَيُّومُ

يا رَحْمٰنُ يا هادِي

شركة الفتح للطباعة والنشر والتوزيع

محمد حسني متولي وشركاه

الإدارة : ٩٢ ش التحرير ـ ميدان الدقي ـ برج ساريدار ـ القاهرة

ت : ٣٣٣٨٨١١٩

المطابع : ١٠٥ ش داير الناحية ـ الدقي ـ القاهرة ت : ٣٣٣٨٤١١٦

الفرع : مدينة السادس من أكتوبر ـ حي حدائق أكتوبر ت : ٠١٠١٥٣٩٣٩٣٢

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠١٣ / ٨١٣٨